أعمال لم تنشر

عبد الوهاب مطاوع

أرض الأحزان

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل (تحويل كتاب: أرض الأحزان .. للكاتب عبدالوهاب مطاوع الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

كتب مجمعة لبريد الجمعة

أرض الأحزان

عبدالوهاب مطاوع

كلمة الناشر

كلُّ الناس يموتون، لكن القليلين هم الذين تبقى ذكراهم، بعد موقهم، وعبد الوهاب مطاوع (1940-2004) واحد من هؤلاء القلائل النادرين، ذلك أنه جعل من عمره وروحه وعمله، واحة يستظل بها المكدودون في رحلة الحياة، والباحثون عن الأمل، وسط هجير الواقع المؤلم، تحولت حياة مطاوع إلى ملك لقراء بريد الجمعة الذي كانت تصله في الأسبوع الواحد أكثر من مائة رسالة من مصر وشتى أقطار الوطن العربي، فقد كان يملك قاعدة قراء تغطي كل تلك الأقطار، حتى أن بعض الصحف العربية كانت تنشر رسائله بالتزامن مع جريدة الأهرام، والبعض الآخر استحدث باباً لبريد القراء أسوة بعبد الوهاب مطاوع، لكنه بقى فيها جميعا صوتا متفردا وكاتبا لا يضاهي، الأمر الذي جعل من كتبه الأكثر مبيعا وانتشارا بين قراء الوطن العربي، والعرب المقيمين في الخارج، في ظاهرة قلما تتكرر في الصحافة والثقافة العربيتين.

شكلت تلك الرسائل على مدار العقد الأخير من القرن العشرين بانوراما حية وصادقة، لواقع المجتمع المصري والعربي، وما استجد عليه، وفيه من تغيرات، عاصفة مزلزلة حينا، وهادئة بطيئة أحيانا أخرى، وكان عبد الوهاب مطاوع يملك الحاسة الصافية والعقل الراجح، فيشير إلى تلك التغيرات ويحددها، ويضع - بمبضع جراح ماهر - الحلول لها وكيفية معالجتها، ساعده على ذلك علم وافر وثقافة غزيرة شكلتها خلفيته الدينية العميقة، وثقافته التراثية العربية المتعمقة، مضافاً إلى كل ذلك اطلاعه الواسع على الثقافة الغربية الحديثة، مما جعله موسوعة متحركة، فضلاً عن رحلاته المتعددة في شتى ربوع العالم، مما منح ردوده على تلك الرسائل قيمة علمية غاية في الدقة والوضوح، ومع حنوه على أصحاب المشاكل وقسوته في أحيان أخرى فإنه كان يقدر الضعف البشري ويلتمس لأصحابه الأعذار.

من هذا المنطلق، وإيماناً بدور وقيمة عبد الوهاب مطاوع في الذكرى الثانية لرحيله أخذت «الدار المصرية اللبنانية» على عاتقها عبء إتاحة هذا التراث للقراء العرب، بالاتفاق مع ورثته الكرام، فأخرجت هذه السلسلة الجديدة التي لم تنشر من قبل، وعملاً بسياسة الدار الثابتة في إتاحة الأعمال التي أنجزت للكثير الكتاب المصريين والعرب ولم تنشر من قبل ووضعها بين يدي قرائها في كل أنحاء الوطن العربي.

وإيمانًا، من الدّار - أيضا - بقيمة تراث عبد الوهاب مطاوع، وفي القلب منه هذه الرسائل، التي تشكل الخلفية الاجتماعية للتطور الاقتصادي والسياسي الذي مرت به مصر والوطن العربي في العقدين الأخيرين، تلك الخلفية الاجتماعية التي تشبه المرآة تنعكس عليها تلك التطورات سلبا وإيجابا تأثيراً وتأثراً.

فمن ينكر أن عبد الوهاب مطاوع وضع يديه بحاسة الصحفي الدءوب، وقلب المثقف الواعي وعقل المصري وضميره على خفايا ما يجري في حياتنا من عراك اجتماعي وثقافي موّار.

وتأمل «الدار المصرية اللبنانية» إذ تضع هذا التراث بين يدي القراء، أن يشكل عزاء ولو بسيطا في فقد رجل أقل ما يوصف به أنه قلب كبير، وقيمة إنسانية متفردة، وذلك سره الدفين الذي جعل الجميع يتفق على محبتـه حـتى الذين لم يقابلوه ولم يعاشروه، ولم تكن علاقتهم به أكثر من علاقة قارئ بكاتب.

فإلى كل هؤلاء تهدى «الدار المصرية اللبنانية» تراث عبد الوهاب مطاوع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حب التمتع!

دفعتني إلى الكتابة إليك قراءتي لرسالة «سر التحول»، وشعرت برغبة قوية في أن أقول لصاحبتها إن الله سبحانه وتعالى: سوف يجزيها خير الجزاء لرفضها الزواج من زوج صديقتها.. ولمساهمتها في تنبيه هذه الصديقة للاهتمام بزوجها، واستعادة الخيوط المقطوعة معه على الرغم من وحدة كاتبة الرسالة وحاجتها للزواج بعد ترملها وهي مازالت شابة.

فأنا سيدة في الثانية والأربعين من عمري.. وقد تزوجت منذ عشرين عاما، من زميلي في العمل بعد قصة حب عميقة، وأنجبنا البنين والبنات.. وسافرنا إلى الخارج واغتربنا لحوالي خمسة عشر عاما، ثم رجعنا إلى بلادنا نستمتع بثمار الغربة والشقاء في مجتمعنا، وأقمنا مشروعا صغيرا، نجح المشروع واكتملت كل جوانب حياتنا، فنحن نعيش والحمد الله في مسكن جميل.. وأبناؤنا مهذبون وموفقون في دراستهم.. وأنا أحب زوجي وأخلص له.. وأهتم بنفسي وبمظهري من أجله، وأهتم بزوجي وألبي كل احتياجاته المادية والنفسية والعاطفية، ولا أقصر في حق من حقوقه، حتى راح يشيد بي في كل مجلس ويذكر للأهل أنني خير زوجة له.

وفي غمار سعادتي واطمئناني ليومي وغدي، لاحظت فجأة منذ بضعة شهور اهتمام زوجي الزائد بنفسه، وتأخره غير الطبيعي عن العودة للبيت في الليل، وتحدثت معه في ذلك طويلاً، وتحت ضغط الإلحاح من جانبي على أن يفسر لي هذه التغيرات الجديدة في حياته فوجئت به يبوح لي بأنه قد تزوج منذ عدة شهور بأرملة ذات أبناء!

ومادت الأرض بي، وسألته باكية عما دعاه لأن يفعل ذلك؟ وهل قصرت معه في أي شيء؟ فأجابني في هدوء بالنفي، وزاد على ذلك أن قال لي إن الأخرى قد سألته نفس السؤال عند التقدم إليها، فأجابها بأنه لا ينكر عليّ أي شيء، ولا يشكو نقص شيء لدي.. لكنها رغبة في نفسه أن يتمتع بأكثر من امرأة! واختتم حديثه معي بسؤاله لي: أليس لي الحق في الزواج بأكثر من واحدة؟

ولم أدر بماذا أجيبه عن هذا السؤال المرير، ولم أفهم كيف يكون «حب التمتع» بأكثر من امرأة، دافعاً كافياً لكي يتزوج زوجي بامرأة أخرى، وهو يعترف بعدم تقصيري معه في شيء، وأحسست بأنه قد ألقى بي في حفرة من النار ويطلب مني ألا أتألم لاحتراقي بها.

لقد انهار أماني واطمئناني واستقرار حياتي.. وتحولت السعادة التي كنت أحسد نفسي عليها إلى جحيم مقيم، وطلبت من زوجي الطلاق أكثر من مرة، وهو يرفض ذلك بإصرار ويطالبني «بالتعقل».. وأنا لا أدري كيف يجيئني العقل، وقد جزيت من زوجي على حبي وإخلاصي بالجحود، ووصلت بي الآلام إلى حد

تمني الموت كل لحظة، وكل ذلك بسبب هذه السيدة الأخرى التي لم تفكر سوى في نفسها وسعادتها، على حساب سعادتي وراحة بالي، ومع كل نفس من أنفاسي أصبحت أقول: حسبي الله ونعم الوكيل. وأدعو ربي أن يبتلي هذه السيدة بمثل ما أسهمت هي في ابتلائي به، أما زوجي الحبيب فإنه لم يرحم دموعي وتضرعي إليه أن ينهي هذه المحنة ويرجع إلى سابق عهده معنا.

وأصبحت الآن عاجزة عن التصرف. حائرة لأني إن أخذت أولادي معي وهجرت هذه الحياة جاعوا.. وإن تركتهم ونجوت بنفسي دونهم من هذا الجحيم ضاعوا!

ولقد تأثروا بالفعل بغياب أبيهم عنهم لفترات طويلة.. ولم يعرف زواجه منهم سوى ابنتي الكبرى التي استمعت عفوا إلى حوار بيني وبينه حول هذا الأمر، فساءت حالتها النفسية وأصبحت تشكو من الصداع الدائم.

إنني أرجو منك أن توجه كلمة إلى كل رجل يتزوج من أخرى لغير سبب يدعوه إلى ذلك، وأن تقول للرجال جميعا: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. أما أنا فإن في داخلي صراعا رهيبا بين نداءين.. أحدهما يطالبني بالصبر والصمود والاحتمال، من أجل الأبناء ومن أجل ماض جميل ومستقبل لم أفقد الأمل فيه بعد، والآخر يطالبني بالثأر لكرامتي الشخصية ورفض هذا الوضع.. وهذه الآلام.

فبماذا تشير عليّ أن أفعل يا سيدي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أمل كل زوج أن يقدم على مثل ما أقدم عليه زوجك، كما قلت مراراً من قبل هو أن ينجح في امتصاص ثورة زوجته الأولى على زواجه من غيرها.. وأن يتوصل معها بعد فورة الغضب والرفض والمطالبة بالانفصال، إلى ما يعتبره الصيغة المثلى التي تجمع له بين «الحسنيين»: وهما، استمرار حياته العائلية الأولى بغير خسائر على جبهة استقرار حياة الأبناء.. و «التمتع» بهوى النفس وإشباع رغباتها في الحياة الأخرى، وهكذا يكون قد استجاب لرغباته بغير أن يؤرقه مصير الأبناء.. وتمزقهم بينه وبين زوجته الأولى، مراهناً في ذلك على تأثير الزمن على امتثالها للأمر الواقع بعد حين، وترجيحها قلب الأم لاستقرار الأبناء على اعتباراتها الشخصية.. حتى ولو نزفت هي دماً سخيناً من مشاعرها وأحزانها وإحساسها بالغدر والفجيعة في شريك الحياة.

ولاشك في أنها صيغة أنانية تراعي اعتبارات الزوج وحده على حساب اعتبارات الزوجة الأولى ومشاعرها، وفطرتها التي تنكر عليها القبول بوجود امرأة أخرى في حياة زوجها، لغير سبب ملح أو عجز من جانبها عن الإنجاب، أو اقتناع داخلي لديها بعجزها عن تلبية احتياجات زوجها العاطفية والحسية، أو خلاف تستحيل معه الحياة بين الزوجين وإن رغب كل منهما عن الطلاق إلى غير ذلك

من الاعتبارات المبيحة للزواج الثاني، كما لا شك أيضا في أن إقدام زوجك على الزواج من أخرى، بغير أن يصارحك في البداية بنيته في ذلك ويخيرك بين القبول به والاستمرار معه، أو الرفض والانفصال عنه، يعد خيانة لعهد الوفاء الذي جمع بينكما والتزمت أنت به دونه.

فإذا كنت تقولين في رسالتك إنه لم يكن لينكر عليك شيئاً قبل إقدامه على الزواج من أخرى، فإن «حب التمتع» هذا بأكثر من امرأة لا يعدو أن يكون طلبا للاستزادة من المتعة، أغراه به استقرار أحواله المادية، بعد سنوات الشقاء والكفاح في الغربة.. وبدلاً من أن يكافئ شريكة الكفاح على صبرها على صعوبات البداية.. وتحملها لمسؤوليات الأسرة والأبناء والزوج لعشرين عاما أو تزيد.. فلقد آثر أن يكافئ نفسه دونها على سنوات الكفاح، بالتمتع وحده بمباهج الحياة.. ويورثها هي هذه الغصة المريرة في نفسها، وهي التي كانت تتطلع لجني ثمار الكفاح ومواصلة الرحلة مع زوجها وأسرتها في أمان.

قبل أن يزايد عليّ أحد في الحديث عن مشروعية الزواج الثاني من الناحية الدينية، فإني أنقل هنا عن كتاب «بيان للناس الجزء الثاني» الصادر عن الأزهر الشريف، في عهد إمامه الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق ص 230 الآتي عن تعدد الزوجات: «فهو ليس أمرا واجبا بل مباح يتوقف على حاجة الرجل إليه، وقدرته عليه ويجوز للمرأة أن تشترط على زوجها ألا يتزوج عليها، والشرط وإن كان غير ملزم عند بعض الفقهاء، فإن له أثره في نفس الزوج إلى حد ما، ومن الضمانات أنه - أي الإسلام جعل المرأة حرة في إبرام الزواج على الضرة، فإن تزوجت عليها واستراحت الأسرة فيها، وإلا كانت هي المتحملة نتيجة عملها، فيمكن للمرأة أن تقاوم التعدد بمنع الجديدة أن تتزوج على الضرة، ومن الضمانات أيضا جواز أن تجعل المرأة عصمتها بيدها ليكون الطلاق سهلا إن تزوج عليها. وكذلك اشتراط عوض مالي على الزوج إن تزوج بأخرى، وذلك إلى جانب الأمر بالعدل بين الزوجات».

فإذا كنت تسألينني بعد ذلك عما تفعلين إزاء ما تواجهينه الآن فإني أقول لك: إنك تملكين الرفض والمطالبة بالانفصال إذا رأيت في ذلك دفعا لضرر لا تستطيعين حجبه عنك.. وتملكين كذلك أن ترجحي مصلحة أبنائك على اعتباراتك الشخصية وتقرري الاستمرار، دفاعا عن مملكتك وأسرتك وأبنائك في وجه هذه الغازية الجديدة، لأنه ليس من العدل حقا أن تنسحبي أمامها وتتركي لها الساحة خالية دون مقاومة.

فإن شئت النصيحة فإنني لا أرى لك الاستسلام والانسحاب، وإهداء الأخرى كل ما كافحت عشرين عاما من أجل بنائه، وأنصحك بالثبات على موقف الرفض النفسي للقبول بالأمر الواقع، أو الاعتراف به.. مع استمرار الحياة مع زوجك وأبنائك على أمل ألا يطول الوقت قبل أن يدرك زوجك أي الزوجتين أحق به.. وأيهما أولى بحبه وعطائه وإخلاصه لكل ما تمثله في حياته من حب وكفاح، وذكريات مشتركة وأبناء يجمعون بين الأبوين برباط لا انفصام له.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

المكافأة!

سأبدأ رسالتي بلا مقدمات فأقول لك على الفور إنني بعد خمسة عشر عاما من الزواج ضحيت خلالها بمستقبلي الأكاديمي والعمل كطبيبة لكي أتفرغ لرعاية بيتي وزوجي، وبعد أن ساعدته حتى أصبح أستاذاً جامعياً ويشغل موقعاً أكاديمياً مرموقاً، بالإضافة إلى أعماله الأخرى التي تدر علينا الكثير، وبعد أن أصبح أبناؤنا أمثلة يحتذى بها في الخلق الكريم والعلم، حيث إنهم من أوائل منطقتنا التعليمية ويحفظون أجزاء من آيات الذكر الحكيم، وبعد أن تنازلت لزوجي عن الكثير والكثير تلبية لرغباته، حيث لم أكن أرى إلا بعينيه ولا أتكلم إلا بلسانه ولا أسمع إلا بأذنيه، ويشهد لي الجميع بالتفاني في رعايته وثقتي فيه ثقة عمياء، أقول إنه بعد كل ذلك وكل هذه التضحيات كافأني زوجي بأن فاجأني ذات يوم دون سابق إنذار بأنه قد تزوج أخرى، وممن تزوج؟ من ابنة بواب إحدى العمارات التي تقع في حينا وتبلغ من العمر 19 عاما فقط وهو الذي بلغ منتصف الأربعينيات من عمره! لقد مادت الأرض تحت قدميّ وأنا أسمعه يقول عنى للآخرين إنني زوجة فاشلة ولا أصلح لأي شيء!

وهكذا فقد كافأني زوجي على حصيلة الخمسة عشر عاما التي قضيتها معه، وعلى ما بلغه هو من مستوى أكاديمي ووظيفي ومالي وعلى ما يتميز به أبنائي من تفوق وخلق، بأن ارتمى في أحضان فتاة عمرها 19 عاما، وأحضر لي بعض الأشخاص ليقرأوا عليّ حق الزوج الشرعي في الزواج من ثانية وثالثة ورابعة، وواجبي في الطاعة والولاء له مهما فعل، ويذكرونني بغضب الله عليّ إذا طلبت الطلاق، وكيف أن الزوجة التي تطلب الطلاق لا تشم رائحة الجنة، ولم يكتف بذلك فبدأ بسيل من التهديد والوعيد ابتداء من إلقائي على قارعة الطريق وحرماني من أبنائي، إلى التلويح لي بأنني سوف أضطر للتسول للإنفاق على تكاليف الدعاوى القضائية التي تستغرق سنوات، وأنا الوحيدة التي لا أملك شيئا من حطام الدنيا بعد أن وضعت كل ثقتي فيه، لقد وقفت معي أمي وإخوتي وإخوته لكنه أرغى وأزبد وقاطع الجميع، وأجبرني على مقاطعتهم كما أجبرني على الاعتراف أمام الجميع بموافقتي على زيجته الثانية، وأجبرني كذلك على الموافقة على أن تقيم زوجته في نفس العمارة التي نقيم بها، وكلما حاولت الاعتراض رفع صوته مذكرا بآيات العذاب وأحاديث معاقبة الزوجات العاصيات لأزواجهن، ثم ينتقل إلى مسلسل التهديدات لكي أظل حبيسة نفسي ولا أعرف ماذا أفعل. إنني أكاد أجن لأنني لا أستطيع أن أتكلم مع أحد، فحتى أمي قد منعني من زيارتها، وأصبح يراقب خطواتي ويعد عليّ أنفاسي، وانفض الناس من حولي بعد أن يئسوا من محاولة الحديث معه، لأنه يعتبر كل من يحاول سؤاله عن أسباب زواجه الثاني يستحق المقاطعة.

والآن فقد اقترب موعد مجيء الزوجة الثانية إلى العمارة، ولا أعرف ماذا أفعل حين يفرضها عليّ في بيتي أو يفرض على أبنائي الاتصال بها؟ كما أني أخشى عليهم من الاختلاط بها لاختلاف المستوى، وبعد أن أصبحوا يفرون من

أصدقائهم الذين لا يكفون عن سؤالهم عن زواج أبيهم.. فهل أخطأت يا سيدى حين استسلمت لتهديداته؟.. وهل صحيح أنه ليس من حق الزوجة أن تطلب الطلاق كما زعم من جاء بهم إليّ؟ وكيف أستطيع منع أبنائي من مخالطة زوجة أبيهم وكيف يمكنني مقاطعة أمي وأسرتي وأسرته وكل الناس كما يفرض ذلك عليّ؟

إن الجيران يستمعون إلى تهديداته التي يلقيها عليّ ليل نهار بصوت جهوري، كما لو كان يدق طبول الحرب ولا أرى في أعينهم إلا نظرات الشفقة والحسرة على ما أنا فيه فماذا أفعل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لو لم يكن من حق الزوجة طلب الطلاق في بعض الأحيان، لما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا، ولما كلف الزوج بأن يمسك زوجته بإحسان أو يسرحها بإحسان، ولما ثبت الخلع في الكتاب والسنة، ولما أجاز الفقهاء، للزوجة أن تطلب من القاضي التطليق للضرر، أو لعدم النفقة أو لغيبة الزوج أو لحبسه.. إلخ، ولو لم يكن الزواج من ثانية على غير قبول من الزوجة الأولى وبغير ارتضاء بالحياة مع زوجها بعد زواج الآخر مبرراً مشروعاً للطلاق، لما رفض الرسول الكريم أن يأذن لعلي بن أبي طالب أن يتزوج من ابنة هشام بن المغيرة ولما خيره بين زواجها وطلاق فاطمة، ولما ألزم المشرّع موثق الزواج بإبلاغ الزوجة الأولى بزواج زوجها لترى رأيها في حياتها معه فتقبل الاستمرار معه، أو تطلب الانفصال عنه للضرر المعنوي، الذي يصيبها من مشاركة امرأة أخرى لها في زوجها ولما قال ابن القيم إن الرجل إذا اشترط لزوجته ألا يتزوج عليها لزمه الوفاء بالشرط، ومتى تزوج عليها فلها الفسخ حتى ولو لم يكن هذا مسجلاً في صلب العقد لأنه معلوم بالضرورة عند عقده، فكيف تكونين طبيبة ومثقفة وزوجة منذ 15 عاما وتجهلين كل ذلك من أمور دينك ومن حقوقك! إن الحديث الشريف الذي يحتج به عليك زوجك الأستاذ الجامعي الفاضل هو وأصحابه يحرم رائحة الجنة على من تطلب الطلاق من زوجها. من غير بأس، أي وحسب تفسير فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمة الله عليه - لغير علة إلا البطر والأثرة.

وأما الوعيد الذي يتوعدك به زوجك الذي ينتقى من وحي السماء وحديث من لا ينطق عن الهوى ما يتصور أنه يستطيع به أن يقهر إرادتك على القبول بما تكرهين، إنما يتعلق بحقوق الزوج على زوجته وهي للتذكرة ألا تمنعه نفسها وألا تصوم لغير فريضة إلا بإذنه وألا تعطي من بيتها شيئا إلا بإذنه، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولو كان إذناً ضمنياً يفيد القبول وعدم الاعتراض، إلى جانب رعاية البيت والأبناء مقابل سعي الزوج على أسرته، وليس في كل ذلك ما يجبر الزوجة على القبول بضرة رغماً عنها، خصوصاً إذا كانت لا تتكافأ معها

اجتماعيا وثقافيا وعائليا مما يؤذي مشاعرها أبلغ الأذى وليس من ذلك أيضا إرغامها على الاختلاط بها أو التعامل معها أو قبول جيرتها القريبة لها.

فإذا كان زوجك يتحدث عن الويل والثبور وعظائم الأمور التي تتوعد الزوجة العاصية لزوجها، فلماذا لا يتحدث كذلك عما يحفل به الكتاب والسنة من الحث على الرفق بالنساء ورعاية حقوقهن واحترام مشاعرهن، والتأكيد على أن أساس العلاقة بين الزوج وزوجته هي المساواة بينهما في الحقوق والواجبات، ولماذا لا يتذكر قوله تعالى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ » وهي درجة القوامة التي لا تعني القهر وإنما تعني - كما يقول المفسرون - أن تكون له الكلمة الأخيرة بعد المشورة مع زوجته، ما لم يخالف شرعاً أو ينكر معروفاً أو يجحد حقاً أو يجنح إلى سفة وإسراف، فإذا انحرف الزوج كان من حق الزوجة - كما يقول الأستاذ أحمد موسى سالم واستشهد به فضيلة الشيخ الغزالي -، أن تراجعه وألا تأخذ برأيه وأن تحتكم في اعتراضها عليه بالحق إلى أهلها وأهله أو إلى سلطة المجتمع الذي له وعليه أن يقيم حدود الله.

وقبل ذلك كله وبعده فلماذا ينسى أيضا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ ويتجاهل أن ما يأمرك به من قطع صلة الرحم بأهلك لا طاعة له عليك فيه؟

الحق أنني أعجب لما تقولين في رسالتك من أنه «أجبرك» على مقاطعة أمك وأخوتك و «أجبرك» على الاعتراف علناً بالموافقة على زواجه الثاني، وأجبرك، على القبول بأن يأتي بزوجته هذه البالغة من العمر تسعة عشر عاماً لتقيم في نفس العمارة التي تقيمين فيها، وأتساءل: أي وسائل الإجبار تلك التي استخدمها معك لقبولك كل ذلك؟، هل استخدم معك قوة هرقل؟ أم قوة التنويم المغناطيسي؟.. أم ترى أنه الضعف والتخاذل والعجز وانقطاع الحيلة والصلة بالأهل الذي دفعك للمسايرة والتظاهر أمامه بقبول ما لا ترضين به؟ ثم تجأرين في غيبته بالصراخ والشكوى مما تتهمينه بإجبارك عليه!

يا سيدتي تماسكي قليلاً ولا تستجيبي لمثل هذا القهر الذي لا يجيزه شرع ولا دين، واختاري لحياتك بغير أن يشل الخوف والرعب إرادتك كأنما تواجهين قوة خفية لا قبل لك بها، فلك في النهاية أهل يستطيعون مساندتك إذا دعت الحاجة لذلك، ولك أبناء وذوو قربى وأهل الزوج نفسه يتعاطفون معك، ويستنكرون فعلته.. وهناك قضاء يمكن أن يكون ملجأك الأخير إذا دعت الضرورة له، فلماذا هذا الانهيار؟ لقد قال جمال الدين الأفغاني: لو لم تكونوا وعولاً لما نهشتكم الذئاب! ولست أريد بذلك أن أشجعك أبداً على مناطحة زوجك أو على هدم حياتك الزوجية، وإنما أريد لك فقط أن تتمسكي بحقوقك المشروعة وألا تسمحي لأحد بقهرك على ما لا ترضين به

فلربما أعانه تماسكك أمامه على معاودة التفكير في الأمر كله من الأصل أو على الاعتراف لك ببعض حقوقك، والكف عن إكراهك على ما يؤذي مشاعرك ويلحق بك أكبر الضرر النفسي والمعنوي، فأما الجعجعة بالوعيد والزعم بالتحدث باسم السماء بهدف تبرير الأهواء الشخصية والرغبات الجامحة والأوضاع غير

المقبولة منطقيا وتربويا واجتماعيا، فهي حيلة نفسية قديمة رصدها من قبل المفكر الفرنسي الكبير فولتير حين قال: حتى اللص وهو يضع المفتاح في الخزانة ليسرق يقول: باسم الله! والسلام ..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحديقة اليانعة!

أكتب إليك بعد قراءتي رسالة «جني الثمار» للزوجة التي تشكو من زواج زوجها بامرأة أخرى، وتتساءل: هل من العدل أن تتحمل هي سنوات الكفاح وصعوبات البداية حتى إذا حان وقت الحصاد فوجئت بأخرى تريد أن تشاركها جني الثمار بغير تعب ولا كفاح مع الزوج.. ورسالتي هذه قد تكون جريئة بالنسبة للبعض لكني لا أشعر بأي حرج وأنا أكتبها لك فأنا يا سيدي زوجة ثانية لرجل له زوجة وأبناء وعشرة دائمة وممتدة بينه وبين زوجته لمدة 17 عاما، وأريد أن أوضح لبعض الزوجات مبررات مثل هذا الزوج الغالي للزواج على زوجته وخيانة عشرة العمر كما تطلقون عليها، فلقد جمعتني ظروف العمل منذ خمسة أعوام برجل وقور محترم واضطرتنا الضرورة للاحتكاك والوجود في مكان واحد لمدة ست ساعات يومياً وكنت أنا مطلقة من رجل شاذ خانني مع كل امرأة قابلها في حياته بالرغم من جمالي الظاهر وأنوثتي الطاغية وثرائي، وجاهدت معه الجهاد المقدس، كما طالبت كاتبة الرسالة بأن تفعل مع زوجها، لإنجاح الحياة الزوجية بيني وبينه، لكني فشلت في تقويم المعوج وانتهى الأمر بيننا بالطلاق. ودفعتني ظروفي كمطلقة في مجتمع عمل معظم أفراده من الرجال إلى التحفظ الشديد مع الجميع حتى لا يسيء أحد الظن بي أو تشعر أي زميلة لي بأني قد أخطف منها زوجها، ثم اقترب مني هذا الزميل رويداً رويداً واخترق الحصار الذي فرضته على نفسي وحاول التدخل لحل مشكلتي مع مطلقي، لكنه فشل لإصراري على حفظ كرامتي، وتكرر الحديث بيننا عن مشكلتي ثم تدرج منها إلى مشكلته هو في حياته الشخصية ففوجئت به يشكو من تسلط زوجته الحاد على حياته، ومن قسوتها عليه إلى حد الإهانة وكيف أنه لم يسمع منها طوال عشرته لها كلمة ثناء واحدة على أي شيء فعله من أجل البيت والأبناء، وإنما دائماً هناك الاستخفاف بكل محاولاته الجادة للارتقاء بمستوى الأسرة، بالرغم من أنها قد تزوجته وهي شبه معدمة ومن أسرة منهارة عائلياً، ولقد كان ينتظر ممن حرمت من الحنان الأسري أن يجد لديها شلالاً من هذا الحنان، ففوجيء بالعكس من ذلك تماماً، وأدرك بعد المحاولات العديدة، أن الصبار الذي ينمو في أرض الشقاق لا ينبت عادة زهورا جميلة فساءت علاقتها بجيرانها بسبب حدة طبعها، وساءت علاقتها بأهله وأصبحت حياته سلسلة متصلة من النكد والصراع الخفي حول من تكون له اليد العليا في البيت والأسرة.

وفي البداية رفضت بشدة عرض هذا الزميل للارتباط بي حتى لا أصيب أسرته في مقتل وأشتت شمل أبنائه مع أبيهم، لكنه أقسم لي أنني سأكون الدافع له لتعويض أبنائه عن سنوات الجفاف التي عاشوها، وأنني لن أكون عقبة في طريق تواصله مع أبنائه وتزوجنا لاحتياجي الشديد لحبه واحتياجه الشديد لي، وحين شعرت زوجته الأولى بوجود امرأة أخرى في حياته صارحها بأنه حقه الشرعي وحين سألته: لماذا لم يناقشها في الأسباب التي تدفعه لهذا الزواج ويناقشها فيما ينكره عليها لإصلاح الأمور قبل تفاقمها؟ صارحها بأنه لم يكن

يؤمن بجدوى المناقشة معها لأنها لم تكن لتعترف بأخطائها ولهذا لم يرد جرح مشاعرها.

ولقد دأبت بعض الزوجات على أن يشكين من زواج أزواجهن بأخريات، ومن، خيانة - شريك العمر للعشرة، ومن غدره على غير توقع، كما دأبن على تصوير هذه الزوجة الثانية «كغازية» لبيت كان مستقراً قبل ظهورها في حياة الزوج أو كراغبة في جني الثمار واقتناص زوج جاهز لم تشاركه صعوبات البداية وسنوات الكفاح.

وأريد أن أقول لك إن الزوجة الثانية كثيراً أيضاً ما يكون لها دخل ثابت بل ومرتفع أحياناً لكنها قد تعبت هي الأخرى في العمل والحياة وبدأت تجني ثمار كفاحها، وأنا على سبيل المثال ميسورة الحال ولم أضغط على زوجي في النفقات والمصروفات بالرغم من أنه قادر مالياً، ولم أحاول أبدا قطف ثمار حديقة زرعها غيري لأن لي حديقتي الغناء التي تكفيني والحمد الله ولا أحتاج من زوجي سوى الحب والاحتواء وإلى أن يكون ملكي المتوج على عرش قلبي وحياتي، فأنا أهوى الخضوع للرجل والسكن إلى جواره والنوم مطمئنة إلى جوار قلب ينبض بحبي، كما أني لم أحاول مطلقاً تخيير زوجي بيني وبين زوجته الأولى، رغم ثقتي بأنني لو فعلت فسوف يختارني لبعد الفارق بينى وبينها في كل شيء، لكن ماذا سأجني من ذلك؟ إننى أفضل أن أكون زوجة تحافظ على أسرة زوجها وتؤهله نفسياً للاعتناء بأبنائه من الأخرى، عن أن أنفرد به دونهم، بل إنني أتقي الله في أبنائه هؤلاء وأسرته وأحث زوجي دائماً على العدل معهم، ولقد مضت على علاقتنا الآن خمس سنوات ومازلنا نجني ثمار حديقتنا اليانعة من الحب والتفاهم والاحتواء واتقاء الله في المعاملة، وليس جني الثمار المادية الزائلة، فلماذا تحكمون يا سيدي على الزوجة الثانية بأنها دائما، كأمنا الغولة،.. ولماذا لا نرى فيها أنها قد تكون في بعض الأحيان المنقذة لزوج محطم محبط نفسياً وعلى وشك الانهيار النفسي والأخلاقي قسوة حياته وخلوها من العطف والحب والمعاملة الطيبة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

كما قد تكون الزوجة الثانية هي المنقذة في بعض الأحيان لزوج محطم نفسياً وعلى وشك الانهيار النفسي والأخلاقي كما تقولين- فإنها قد تكون أيضا مجرد فتاة صغيرة طموح تعزف عن الكفاح واحتمال صعوبات البداية، مع شاب مقارب لها في العمر وتؤثر الطريق السهل واقتناص زوج متوسط العمر، تجاوز صعوبات البداية وصنع نجاحه العملي وأغراه يسر الحياة بعد جفافها بالتطلع إلى المغامرة العاطفية.. وطلب المزيد من المتعة.

وقد تكون كما خشيت أنت على نفسك من أن تظنك زميلاتك. خاطفة أزواج أو سيدة واجهت محنة الفشل في زواجها، فرغبت في ترميم حياتها على حساب زوجة آمنة وأبناء مستقرين، ولم تكن حياتهم لتتعرض لمثل هذه المحنة لو لم تظهر في حياة أبيهم هذه السيدة، وكذلك قد تكون هذه الزوجة الثانية منصفة وترعى حدود ربها مع أسرة زوجها الأولى وطالبة للحب والأمان مع زوج تنام مطمئنة إلى جواره.. كما تقولين عن نفسك، وقد تكون سيدة أنانية وراغبة في الاستحواذ على زوجها دون زوجته الأولى وأبنائه.. وتضيق حتى الموت بكل محاولة من جانبه لرعايتهم وأداء واجباته العائلية تجاههم وقد تكون.. وقد تكون.. وقد تكون..... إلخ.

فمن طبائع البشر أن يختلفوا فيما بينهم وأن تختلف مثالياتهم ومبادئهم وسبل تعاملهم مع الحياة، لكن السؤال الأهم هو: هل المطلوب منا هو أن نشجع الفتيات الصغيرات على رفض الحب والكفاح والحياة الطبيعية مع شركاء متقاربين معهم في العمر واختصار الطريق باقتناص أزواج الأخريات وتهديد أمانهن وسعادتهن واستقرار أبنائهن؟

أم هل المطلوب منا هو تشجيع كل من يشكو من بعض أوجه النقص أو الخلاف في حياته، أن يسارع إلى التطلع حوله ويسعى للزواج من زميلة له في العمل أو أي مكان آخر يجني معها ثمار حديقته اليانعة؟ دون أية محاولة لإصلاح الأمور بينه وبين زوجته وبلا أي مغالبة للنفس ومحاولة ردها عن أهوائها ومن ميلها الغريزي لما يحقق لها الراحة والمتعة ولو شقى آخرون بذلك؟

إن الإنسان يا سيدتي يميل بطبيعته إلى الرثاء لنفسه وإلى اعتبار نفسه شهيداً لظروفه وضحية للآخرين، ولو اتبع كل إنسان هواه وبحث عما يؤمن له وحده المتعة والراحة والسعادة دون النظر لأي اعتبار آخر وبلا أي مغالبة للنفس ولا محاولة للإصلاح، لانهارت أسر عديدة وخلت من عمرها من الأزواج والزوجات ولدفع الأبناء الذين لم يستشرهم أحد في اختيار آبائهم وأمهاتهم الثمن الغالي من سعادتهم واستقرارهم.

كما أن الإنسان بارع في استخدام حيلة التبرير النفسية لإعفاء نفسه من كل لوم، واصطناع الأسباب التي تجعل تصرفاته كلها منطقية وعادلة، ولو راجعت ما نسبه زوجك إلى زوجته من عيوب وهو في مرحلة الاقتراب منك لوجدتها لا تكاد تتجاوز كثيراً مألوف الحياة بين أزواج وزوجات كثيرين ولا يفكرون - بالرغم من ذلك - في الزواج الثاني أو الانفصال، لأن ما يجمع بينهم أكبر مما يفرق بينهم، ناهيك عن أنك قد سمعت وجهة نظره وحده في هذه العيوب ولم تسمعي وجهة نظر الطرف الآخر فيها ولا في عيوب زوجها، فإذا كنت لا أنكر عليك سعيك المشروع بعد الانفصال للزواج المستقر الآمن، فلعلي أتساءل فقط ولماذا لا يبرر رجل كزوجك رغبته في الزواج منك بأنه قد وقع في هواك وتمكن منه حبك ويريد الارتباط بك بغير أن يقيم دعواه لتبرير هذا الزواج على أساس من عيوب الزوجة الأولى ومعاناته معها؟

ولماذا لا تبريرين أنت قبولك لهذا الزواج بحبك لهذا الرجل ووحدتك بعد الانفصال عن زوجك السابق وحاجتك إلى الحب والزواج والأمان بغير الإساءة إلى أي أطراف أخرى؟

وماذا يمكن أن نسمي الزواج الذي يقدم عليه الزوج دون إخطار زوجته به وتخييرها بين القبول به أو الانفصال عنه سوى بأنه خيانة للعشرة ولعهد الوفاء الذي قطعه على نفسه مع الزوجة الأولى، وهو التعبير الذي تستائين منه في رسالتك؟

إني معك في أن الزوجة الثانية ليست دائماً كأمنا الغولة أو دراكيولا مصاص الدماء، وأنها قد تكون العاصم بالفعل للرجل من الخطيئة، لكن قوانين الحياة الطبيعية بالرغم من ذلك هي الأولى دائما بالاتباع، ولابد دائماً من استنفاد كل وسائل الإصلاح وحماية الأسرة والأبناء من العواصف والزلازل قبل الإقدام على مثل هذا الخيار والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أرض الأحزان!

أنا كاتب رسالة «سنوات الحرمان»، التي نشرتها في أبريل الماضي، ورويت لك فيها تعاستي مع زوجتي التي استمرت 17 عاما، ظلت خلالها تطالبني بالطلاق لأتفه الأسباب.. وتصف شهر العسل الذي جمع بيننا بأنه «شهر الزفت»، بالرغم من إنجابنا ثلاثة أبناء ذكوراً بلغ أكبرهم السادسة عشرة، وإقامتنا معا في مهجرنا بكندا حيث يحتاج الإنسان إلى الأسرة والحياة العائلية، إلى أن وصلنا إلى طريق مسدود، وانفصلنا وانفردت هي دوني بالبيت والأبناء اعتماداً على ما توفره الدولة هناك من معاش للمطلقات، ورويت لك أنها ستواجه جراحة ثانية في القلب في أوائل شهر يوليو، وأنها قد سبق لها إجراء جراحة مماثلة من قبل، ورددت عليّ قائلاً: وماذا يبقيك في أرض الأحزان بكندا، وقد تقطعت بك السبل هناك فلا زوجة ولا أسرة ولا عمل، سوى المعاش الذي تتقاضاه عن عملك السابق، عد إلى وطنك وأهلك وعملك الذي تحتفظ به في مصر، وسيعوضك الله عما قاسيته خيراً كثيراً، ولقد قررت أن أعمل بنصيحتك وحزمت أمري على العودة لمصر، ولكن بعد أن اطمئن على أم الأولاد عقب الجراحة، حتى لا أرجع كندا منكفئا على وجهي إذا حدث ما لا تحمد عقباه لأرعى أبنائي الثلاثة... وعندما حان موعد الجراحة ذهبت إليها مع شقيقتي، وتمنينا لها الشفاء واصطحبت أبنائي من منزل الأسرة إلى منزل شقيقتي المقيمة بكندا، حتى ترجع أمهم بالسلامة بعد أسبوعين، وقلت لزوجتي السابقة إنني سأحضر غدا للاطمئنان عليها بعد الجراحة، فطلبت مني الاكتفاء بالسؤال عنها بالتليفون، لكني لم أستجب لرغبتها وتوجهت للمستشفى في اليوم التالي، مع ابني الأكبر وجلسنا في حجرة الانتظار، وبعد ساعتين أبلغتني إدارة المستشفى أن الجراح يريد أن يتحدث معي في أمر مهم، وانزعجت لذلك. ثم جاءت طبيبة مساعدة وقالت لي إنهم يواجهون مشكلة كبيرة في الجراحة هذه المرة، وإن زوجتي السابقة تحتاج إلى العناية الإلهية لكي تجتازها، وانخرط ابني في البكاء حين سمع ذلك، لكني هدأت روعه وتوضأنا في المستشفى وصلينا معا ودعونا لها بالنجاة، وبعد ساعتين أخريين جاءني الجراح الكبير متحرجاً، وقال لى إنه قد حدث لها نزيف حاد فقدت فيه دمها كله في أقل من 30 ثانية نتيجة لتهتك في الشريان الرئيسي للقلب خلال فصل القفص الصدري. وذلك لملاصقة القلب لعظام الصدر بسبب الجراحة السابقة التي أجراها لها جراح آخر في مستشفى مختلف.

وربت الجراح على كتفي آسفاً ثم انصرف، وجاءت شقيقتي فطلبت منها اصطحاب ابني معها إلى بيتها، وبقيت إلى جوار زوجتي السابقة للصباح حتى فارقت الحياة، ويعلم الله كم كان حزني عليها وعلى أبنائي الذين أصابهم اليتم مبكرا.. والآن فإن هذا الجراح الكبير يواجه المحاكمة أمام القضاء بتهمة الإهمال أو التقصير لا أدري، ورحلت أم الأبناء عن الحياة تاركة لي ثلاثة أبناء أحسن الله خلقتهم وخلقهم، ورجعت مع أولادي إلى البيت الذي كنت قد غادرته

حين أصرت زوجتي رحمها الله على الانفصال، وحمدت الله أن بقيت إلى جوارهم لكي أرعاهم في هذه المحنة.

وما يؤرقني الآن يا سيدي هم أبنائي الذين أصابهم اليتم، وفقدوا الأم بعد أن فقدوا من قبل الحياة العائلية المستقرة، وأنا لا أقصر في خدمتهم بل أسعد بذلك، لكني لا أحب أن أعيش وحيداً خاصة وقد عانيت في حياتي السابقة مارويت لك عنه الكثير، في رسالة «سنوات الحرمان»، كما أن أبنائي سوف يكبرون ذات يوم ويمضي كل منهم في طريق، وأنا مازلت في الثالثة والخمسين من العمر، فهل تراني في ذلك أم مخطئا.. إن بعض الأصدقاء هنا يقولون لي إنني «سأبهدل» أبنائي إذا جئت لهم بأم أخرى.. وأنا أتخوف من ذلك بالفعل لكني لا أحتمل حياة الوحدة، بعد كل ما عانيته في زواجي وغربتي.. فماذا ترى أنت؟..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

إذا اشتدت حاجة الرجل أو المرأة إلى الزواج بعد فقد شريك الحياة أو الانفصال عنه، فلا مجال للنقاش الطويل حول صواب ذلك أو خطئه ولا خطأ بالطبع فيما أحله الله سبحانه، وإنما ينبغي أن يتوجه الحديث إلى كيفية الاختيار السليم لشريك الحياة الجديد الذي يترفق بالأبناء ويرعى الله فيهم، ولا يضاعف من خسارتهم بفقد الأم أو الأب، بمعاناتهم معه.. فيصبح بذلك عوناً لهم على الحياة وليس عونا لها عليهم.. وفي ظروفك الشخصية فإن حاجتك إلى الزواج بعد كل ما قاسيت في حياتك الزوجية السابقة، وغربتك، تدحض كل تردد.. ويبقى الأمل فقط في أن يوفقك الله إلى الشريكة العطوف التي فطر الله قلبها على الرحمة، والعدل، والرفق بالصغار من الأيتام، ومثيلاتها كثيرات ممن يرجون وجه الله سبحانه وتعالى، برعاية أمثال هؤلاء الأبناء الحائرين.. لكن السؤال الذي طرحته عليك في ردي على رسالتك الأولى يبقى مثاراً حتى الآن وهو: وماذا يبقيك في أرض الأحزان.. وقد تقطع آخر خيوطك بها برحيل أم الأبناء عن الحياة. وانعدام الأمل في استعادة الحياة العائلية المستقرة للأبناء بين أبويهم؟.. أيكون انتظار حكم القضاء بالتعويض لك ولأبنائك هو المبرر المقبول لذلك الآن.. أم ترى أن هناك أسبابا أخرى؟.

إن الإنسان كما يحتاج إلى الشجاعة لاتخاذ القرار بالهجرة طلب لحياة أفضل، فإنه مطالب أيضاً في بعض الأحيان بنفس الشجاعة.

وربما بقدر أكبر منها لاتخاذ القرار الآخر في الوقت المناسب بالاعتراف بفشل هجرته، واليأس من تحسن الأوضاع فيها، والعودة لبلاده مكتفياً بما تحقق له خلالها، ذلك أن الهجرة ليست هدفاً في حد ذاتها وإنما الحياة الأفضل هي الهدف، خصوصا إذا كان كما فهمت من رسالتك يحتفظ لنفسه بخط الرجعة له مع بلاده، وله وظيفة حكومية تنتظره إذا جنحت سفينته في البحار البعيدة، وأنت يا سيدي لا

تعمل في مهجرك منذ سنوات، وتعتمد على معاشك هناك، أو تأميناتك ولك عمل محفوظ في مصر.. ومسكن وأهل وأسرة.. فلماذا تواصل الإبحار في المجهول إلى ما لا نهاية؟.. وأين ستجد مثل هذه الشريكة التي تحتاج إليها الآن لمشاركتك رعاية أبنائك سوى في وطنك الأم.. وبعد العودة إليها ذات يوم قريب إن شاء الله؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نقطة التحول!

أنا سيدة نشأت في أسرة صغيرة.. وكنت الابنة الوسطى بين ثلاث بنات، يشهد لهن الآخرون بالأدب والخلق والجمال، ولقد رحل والدنا عن الحياة ونحن في مراحل التعليم المختلفة، وتولت أمنا أمرنا بعد رحيله، وتزوجنا جميعاً بعد انتهاء دراستنا، فتزوجت وعمري 22 عاماً، وأنجبت ثلاثة أبناء وسعدت بحياتي مع زوجي لأنني نشأت على الطاعة والتربية الدينية، فكنت لزوجي نعمت الزوجة، وكان زوجى لي نعم الزوج، ولم تنغض علينا حياتنا المشاكل لأننا نحن الاثنين نكره الخلاف والمشاكل بطبيعتنا وصبرت على دخل زوجي المتواضع لنبني عشنا بالتدريج وخطوة خطوة، إلى أن أكملنا بناء العش السعيد وسددنا كل الالتزامات، وبدأنا نتنفس الصعداء ونستروح نسائم الراحة المادية في حياتنا، فإذا بهادم اللذات ومفرق الجماعات يختطف زوجي الشاب من بين يدي بعد عشر سنوات من الحب والوفاق، وإذا بي أجدني أرملة وأما لثلاثة أبناء وأنا في الثلاثين من عمري.. وتحملت الصدمة المزلزلة بكثير من الصبر والإيمان، واحتضنت أبنائي الثلاثة وكرست حياتي لرعايتهم حتى بلغوا الآن بعد ثماني سنوات من رحيل الأب، مرحلتي التعليم الإعدادي والثانوي، وخلال ذلك تقدم إليّ من يطلبون يدي للزواج فرفضتهم لخوفي على أبنائي من الصورة القاتمة لزوج الأم في بعض الأحيان، لكن أمي راحت تلح عليّ بفكرة الزواج، وتحدثني عن أبنائي الذين سيكملون تعليمهم ويشقون طريقهم ذات يوم في الحياة بعيداً عني، وكيف أنني امرأة عاملة أغادر بيتي للعمل، والناس لا يدعون أحداً وشأنه... إلخ.

وما إن بدأت أقتنع بحديث أمي حتى فوجئت بأحد أقاربي المقربين. وهو متزوج وله أبناء يفاتحني فجأة برغبته في الزواج مني، قائلاً: إن زوجته تهمله بحجة أن أبناءها قد كبروا، وأصبحوا أحق برعايتها لهم منه، وأنه كثيراً ما نبهها إلى ذلك وأنذرها بالزواج من غيرها، ولم تغير من نفسها.. فاعتذرت له على الفور لأني أعتبر القبول به خيانة لزوجته التي كنت أعتبرها بمثابة أخت وصديقة عزيزة لي.. ولم أكتف بذلك وإنما اتصلت بزوجته ونصحتها بالاهتمام بزوجها أكثر مما تفعل، وأن تعطيه ما يفتقده لديها، لكنها لم تستجب لي ووجدتها غارقة في الثقة المطلقة بنفسها، وتعتبر حديثه عن الزواج من أخرى مجرد تهديد غير جدي، بل واتهمته بالأنانية في تفكيره وشكواه، فلم أجد مفراً من مصارحتها بطلبه للزواج مني، فنزلت كلماتي عليها كالصاعقة واستمعت إليّ ذاهلة وهي لا تكاد تصدق ما أقول، ثم تمالكت نفسها في النهاية وشكرتني على صدقي وأمانتي معها، وبعد ذلك واجهت زوجها بما عرفته مني، فأكد لها صدقي وقال لها إنه قد طلب يدي بالفعل من والدتي لكني رفضته، فكان هذا الحديث نقطة تحول مهمة في علاقة هذه السيدة بزوجها، فلقد أحست بخطئها في إهماله له وتغيرت معاملتها معه 180 درجة، ورجعت السعادة ترفرف على حياتهما معاً، لكن الواقعة قد تركت بالرغم من ذلك ظلالاً قاتمة على علاقتها بي وبأسرتس، فلقد اشترطت على زوجها ألا يزور أسرتي نهائياً، وألا يتحدث معي في أي شأن من

الشئون، ولم أعترض على ذلك لأنه من حقها وأنا سعيدة بسعادتها مع زوجها، لكني بالرغم من ذلك أفتقد صداقتها السابقة وحبها، ولقد رويت ما حدث لزميلاتي في العمل فاتهمنني بالجنون، وبأنني ضيعت من يدي فرصة زواج طيبة من قريب لي، كان سيرعاني ويرعى أسرتي، وقالوا لي إن الحياة فرص، ولابد للإنسان من أن يقتنصها قبل أن تضيع منه، لكني مقتنعة بما فعلت ولا أريد أن أسعد بحياتي على حساب شقاء غيري بهذه السعادة، كما لا أريد أيضاً أن أعيش حياة تطاردها المشاكل والمنغصات، وأرى أن خيانة الثقة ليست من طبعي. ونصيحتي الأخيرة للسيدات المتزوجات ألا يهملن أزواجهن مهما كانت مبرراتهن لذلك، وألا يستخففن بتهديد الأزواج لهن بالزواج مرة أخرى، إذا لم تتغير معاملتهن لهم، فقد يفاجأن بأن ما كن يحسبنه هزلاً لا يستحق التوقف أمامه، وقد تحول إلى حقيقة واقعة وتبدأ المعاناة، وترتفع الشكوى والأنين.. والسلام...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

من الأهمية بمكان أن يكون الإنسان مقتنعاً بصحة موقفه وصواب اختياراته في الحياة.. وأن يتصرف فيما يواجهه من خيارات، بما يؤمن به من مبادئ ومثاليات.. حتى ولو لم يشاركه البعض الإيمان بجدواها، والحق أنني أشاركك الرأي في صواب موقفك من رفض قريبك المتزوج والمعيل، ليس فقط لأنه زوج وأب، وإنما أيضاً لأنك الصديقة المقربة لزوجته.. ولأن ما كان يشكو منه في حياته معها قد أثبتت له التجربة العملية أنه قابل للاستدراك والإصلاح، بدليل ما شهدته حياته مع زوجته من تغير للأفضل بعد واقعة تقدمه لطلب يدك، فإذا كان هذا التحول الإيجابي لم يتحقق، إلا حين استشعرت زوجته خطورة المشكلة وجدية إنذاره لها بالزواج من غيرها، فإن ذلك لا يغير من حقيقة الأمر، وهو أنه كان في الإمكان إصلاح الحال بينه وبين زوجته بغير أن يفجعها بالزواج من صديقة مقربة لها.. وبغير أن يزلزل حياة أبنائه بذلك.. كما أنه من المؤكد أيضاً أن زواجك منه لم يكن هو الحل الأمثل لمشكلتك الشخصية.. لأن توابعه من العواصف والاضطرابات لم تكن لتحقق لك فرصة الحياة الهادئة المستقرة.. وما كنت لتستشعري السعادة المنشودة معه، وظلال صداقتك السابقة لزوجته تؤرق ضميرك وتفسد عليك هناء أوقاتك، فضلا عما كنت ستتعرضين له من «أهوال» من جانبها تتعارض مع طبيعتك المسالمة والراغبة في الحياة الآمنة بلا مشاكل ولا اضطرابات، ولا تسمح لك بالاستمتاع بمثل هذا الزواج.. أما حديث بعض زميلاتك لك عن فرص الحياة التي ينبغي للمرء اغتنامها قبل أن تضيع من يديه، فهو حديث مرفوض. فإذا تجاوزنا عن المنطق الانتهازي الذي يعبر عنه فقد نقول إنه لا بأس بأن يحاول الإنسان اغتنام الفرص المتاحة له، ولكن بشرط أن تكون فرصاً مشروعة وعادلة، ولا تسلب أحداً من حقوقه. وفي مقابل هذا المنطق اللا أخلاقي الذي تلومك به بعض زميلاتك، هناك المنطق الإيماني الحكيم الذي يصوغه لنا الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه في حديثه الشريف فيما

معناه: أنه لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.. وهذا المنطق البسيط وحده لو اهتدى به البشر لخلت الحياة من كثير من شرورها، ولنقصت مساحة الآلام والأحزان فيها إلى حد كبير، كما أن هناك أيضاً المنطق الآخر الذي تحدده كلمات الفيلسوف الألماني «كانت» حين يقول: كن كاملاً في عالم ناقص يكمل العالم على مر الزمن.. بمعنى أن شيوع الخطأ لا ينبغي له أن يكون مبرراً لكل ذي قلب وضمير لكي يفعله، بدعوى أن الآخرين يرتكبون نفس الخطأ، وإنما لابد أن يكون هناك دائماً من يفعل ما يؤمن بعدله وصوابه وحكمته على المدى البعيد. ولو ضحى في سبيل ذلك بالفوز الرخيص. أما نداؤك للزوجات بالاهتمام بأزواجهن قبل أن يفاجأن بما ظنن أنه هزل، لا يستحق التوقف أمامه وقد تحول إلى واقع بغيض، فإني أشاركك الرأي فيه كذلك.. وأضيف إليه نداء مماثلا للزوجات بألا يتعاملن بنفس هذه الخفة ونفس هذه الثقة المفرطة في النفس، مع الإنذارات المماثلة بالانفصال من الطرف الآخر.

تبقى النقطة الأخيرة في هذه القصة وهي الظلال القاتمة لما حدث على علاقتك بهذه السيدة وزوجها.. وهو ما قد تعتبرينه حتى لو سلمت بأنه من حقها، جزاء سنمار بالنسبة لك من جانبها.. والحق أنني رغم ما يبدو ظاهرياً من أنه كذلك إلا أنني أؤيدها فيه.. درءاً للشبهات، ومنعاً لتجدد المشاكل إذا استمر التلاقي بينك وبين قريبك حتى في نطاق الأسرة.. فدرء الضرر مقدم على جلب المنفعة في القاعدة الشرعية المعروفة، واستمرار العلاقة العائلية بينك وبين هذا القريب بعد ما حدث قد يفتح الباب لنزغات الأهواء وأحاديث النفس الأمارة بالسوء.. وسوف يبذر بذور الشك في نفس زوجته تجاهه فتتجدد المتاعب.. وتفقد الحياة هدوءها، وهو عكس المطلوب بكل تأكيد من جانبك ومن جانبها.. فإذا كنت قد خسرت صداقتها.. فلا بأس بمثل هذه الضريبة الهينة لالتزامك بمبادئك الأخلاقية وتضحيتك من أجلها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سنوات العمر!

أنا سيدة في العقد السابع من العمر تزوجت صغيرة من رجل فاضل، ومضت سنوات العمر بحلوها ومرها وكبر الأبناء وتوفي زوجي الحبيب بعد زواج ابنتي الكبرى، وواصلت أداء رسالتي مع من بقي من الأبناء في مراحل التعليم، فوقفت إلى جوار ابني الأكبر حتى صنع حياته وأمن مستقبله وشق طريقه وتزوج واعتمد على نفسه، وفجعت في ابني الأوسط الذي كان مهندساً وانقلبت به السيارة ولقى وجه ربه، وعانيت كثيراً في هذه المحنة القاســـــية حتى ألهمني الله الصبر، وأديت فريضة الحج وزرت قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ورجعت وقلبي عامر بالإيمان، فاستعوضت ربي فيه وواصلت حياتي، وكان ابني الصغير طالبا بكلية الحقوق في ذلك الوقت، فركزت فيه اهتمامي وحناني، وتخرج في كليته وعمل محامياً تحت التمرين، وبعد انتهاء تدريبه طلب مني أن يحول غرفتين من الشقة التي أقيم فيها وهي من 4 حجرات إلى مكتب محام، فرحبت بالفكرة وأثثت له المكتب من مالي وافتتحه وعمل به ورزقه الله رزقاً طيباً بفضل دعائي له، ثم تعرف بفتاة وفاتحني برغبته في الزواج منها، فسعدت بذلك، ودبرت كل الأمور، وبنيت له شقة وساعدته في الزواج وتزوجها، وسعد بحياته معها، وواصل عمله في المكتب الذي يحتل غرفتين من شقتي، ونجح في عمله.. فجاءني بعد فترة وطلب مني ترك الشقة كلها له والإقامة معه في شقته لكي ينفرد بالشقة ويتسع المكتب، فلم أرفض طلبه وانتقلت للإقامة معه وباع أثاث شقتي التي عشت فيها سنوات العمر الطويلة، ومضت الحياة بي وابني ينتقل من نجاح إلى نجاح، وبالرغم من ذلك أعطيه معاشي كله، ثم بدأت المشاكل التقليدية بيني وبين زوجته وبدأ ابني الذي أفنيت العمر كله في حبه ورعايته والعطاء له يتغير من ناحيتي، ويتخذ صف زوجته ضدي على الدوام ويثور عليّ لأتفه الأسباب، وأصبحت أعيش شبه وحيدة في مسكنه لأن أبنائي الآخرين قللوا من زياراتهم لي في بيته بسبب سوء معاملة زوجته لهم.. وأخيرا صدمني ابني الحبيب صدمة العمر، وقال لي إنه لا يريدني أن أستمر في الإقامة معه، وطلب مني الانتقال للإقامة لدى أبنائي الآخرين، فخرجت من بيته وأقمت عند ابنتي، لكني حزينة لغدر ابني بي بعد كل ما فعلته من أجله وأخاف من الزمن.. ولا أدري ماذا أفعل.. وأناشدك أن توجه كلمة إلى ابني العاق الغادر بأمه هذا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لا تفعلي شيئاً يا سيدتي.. ولا تحزني على من غدر بك وتنكر لك وصدمك صدمة العمر، بمطالبته لك بإخلاء مسكنه والانتقال للإقامة لدى غيره من أبنائك.. وإنما احتسبي عند ربك كل ما قدمت له على مر السنين، وتعزي عمن جحد فضلك وكره صحبتك، بمن يعتز بوجودك في حياته ويأنس بصحبتك له، ويرجو

فضل ربه برعايتك والإحسان إليك.. وقد لا يكون قد نال منك بعض ما ناله منك هذا الابن الغادر.

ولسنا للأسف نملك لأبنائنا إذا انشب بعضهم أظافرهم فينا سوى ذلك، ولقد يغلبنا دمع الأسى حين نتذكر كيف تلقفناهم من عالم الغيب صغاراً لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً، فسعدنا بهم وحنونا عليهم وغمرناهم بحبنا وعطائنا.. وعلمناهم الأسماء كلها.. ورعينا خطواتهم في الحياة، وآثرناهم على أنفسنا ولو كانت بنا خصاصة، ورجونا لهم في الحياة نصيباً أفضل مما نلناه نحن منها، وأنكرنا ذواتنا من أجلهم.. فأحسن بعضهم إلينا وأساء البعض الآخر، ورجونا لمن أحسن إلينا حسن المآل وخير الجزاء، وأشفقنا على من أساء إلينا من غضب العزيز الجبار، ورجونا له الهداية قبل فوات الأوان لا أملاً في عطفه علينا، وإنما خوفاً عليه مما تخفيه له الأيام.. وهذا قدرنا يا سيدتي أن نشفق على من أساء إلينا من ثمرات قلوبنا بأكثر مما يجنح بنا الغضب عليهم.. ونتلهف للصفح عنهم إذا ندموا على ما فعلوا بنا بأسرع مما نتلهف على محاسبتهم على ما جنته أيديهم علينا، فكأنما نكرر بذلك حكاية الأعرابية العجوز التي أغضبها بعض أبنائها فقالت:

- أدعو على أبنائي وأكره من يقول من بعد دعائي: آمين!

أو حكاية إمام المتقين علي بن أبي طالب حين قال ذات يوم محذراً من كثرة طلاق ابنه الحسن رضي الله عنه: لاتزوجوا الحسن فإنه مطلاق - أي كثير الطلاق - فقام إليه رجل من كرام الناس قائلاً له:

- والله لنزوجنه ولو طلق كل يوم امرأة!

فلم يتمالك الإمام نفسه وغلبته عاطفة الأبوة وقال للرجال:

- نعم القوم أنتم!

هذا هو قدرنا يا سيدتي ولا حيلة لأحد في أقداره.

أما ابنك فحسابه مع ربه على ما فعل بك عسير، غير أنه يستطيع إذا كان مازال يخشى الله واليوم الآخر أن ينقذ نفسه من هذا الحساب العسير، باسترضائه لك واستدراك ما فاته من حسن رعايتك وتعويضك عن كل ما تسبب لك فيه من آلام وأحزان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العيب الوحيد!

قرأت رسالة اللقب الجميل، للزوجة الفاضلة التي حرمتها أقدارها من الإنجاب، وسعت لرعاية طفل يتيم من إحدى دور الرعاية، وتصف ما أضافه هذا الطفل البريء من دفء ومشاعر إنسانية جميلة إلى حياتها، حتى تتعجب من بعض الآباء والأمهات الذين لا يستحق أحدهم «اللقب الجميل»، الذي يحمله كأب أو أم، حين يتخلون عن مسؤولياتهم تجاه أبنائهم وينصرفون عنهم لإشباع أهوائهم.

ولقد دمعت عيناي حين قرأت هذه الرسالة الجميلة، وأريد أن أروي لكاتبتها ولك قصتي، فلقد تزوجت منذ عشر سنوات، وكنت أنا - الزوجة ليس زوجي - التي قمت بتجهيز البيت بكل ما فيه وحملت عنه كل أعباء الحياة من إنفاق وخلافه، منذ بداية زواجنا لمدة حوالي تسع سنوات عشتها معه في إحدى الدول العربية، حيث كنت أنا - الزوجة - التي أعمل، وهو يجلس في البيت متعللاً بأنه لا يجد العمل الذي يتناسب مع مؤهله الجامعي ومركزه، ثم حملت في طفلي الأول ودخلت المستشفى لكي أضع حملي، وغادرته حاملة وليدي على ذراعي، فإذا بزوجي يقول لي إن من يحبه ربه يحرمه من الأبناء! فتألمت لذلك كثيرا وبكيت.. وضاعف ذلك من أحزاني حيث إنه كان قد هجرني في الفراش فور علمه بحملي عقاباً لي على فعلتي الشنعاء، وهي الحمل والإنجاب الذي يثقله بمسؤولية طفل لا يريده، ومع ذلك فقد تحملت وتغاضيت عن أبشع ما يجرّم به رجل زوجته وهو عدم رغبته في الإنجاب منها لكي يظل كما يقول طائراً طليقاً غير مقيد بالأطفال والأعباء.

ومضت 4 سنوات على ميلاد طفلي الأول بخيرها وشرها، ثم حملت للمرة الثانية، فكانت الطامة الكبرى، وهجرني زوجي في الفراش لحوالي العام مرة أخرى عقابا لي على الفعلة الثانية الأشد شناعة! وأنجبت طفلتي الثانية وسعدت بها وحدي.. وتحملت من جديد الكلمات الشاردة والعبارات الساخطة من زوجي على نعمة الله التي أنعم بها علينا وتجرعت المرارة وحدي.. وبعد 4 سنوات أخرى حملت بالمصادفة في الطفل الثالث.. فإذا بزوجي ينفجر في غاضباً وثائراً، ويتهمني بأنني قد خدعته وأنني لا أفكر سوى في الإنجاب، مع أنه لا إرادة لي في ذلك.. ولم أكن ر راغبة مثله في أن أنجب من جديد.. بعد أن منّ الله عليّ بالولد والبنت، لكن ماذا أفعل في إرادة الله سبحانه وتعالى.. وقد شاءت إرادته وبالرغم من قلة الأوقات التي يقترب فيها زوجي مني، أن أحمل ثلاث مرات وأنجب..

لقد قلت له الكثير والكثير عن إرادة الله سبحانه وتعالى.. لكنه يرفض ما أقوله له ولا يقتنع به.. ويردد في عصبيته - وهو الذي لا يفقد أعصابه أبداً - بعض الكلمات الشاردة المخيفة التي تشككني في صحة إيمانه، ولقد فكرت طويلاً وطويلاً في الانفصال عنه بالرغم من أطفالي الثلاثة، لكني قررت أن أعطي زوجي فرصة أخرى وأعطي نفسي أيضاً هذه الفرصة، وطلبت منه أن يحدد لي

عيوبي لكي أعمل على إصلاحها، فإذا به يقول لي إنه لا يرى فيّ عيبا سوى هذا العيب الوحيد وهو الإنجاب!

وسكت مقهورة، وقررت منع الحمل بكل الوسائل الممكنة وأبلغته بذلك، لكنني حائرة ولا أدري هل حياتي معه حلال أم حرام بسبب نطقه بتلك الكلمات الشاردة الساخطة عند كل حمل وإنجاب، خاصة أنه لم يندم عليها ولم يتب عنها بعد.. فماذا تقول لي يا سيدي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

من مفارقات الحياة المؤلمة أن يسخط البعض على ما يسبغه عليه ربه من نعم، جليلة قد يشقى آخرون للفوزٍ بشيء منها، لكن لا عجب في ذلك بالنسبة لزوجك وقد جاءه كل شيء سهلا بلا عناء ولا شقاء، ولا سعي من جانبه للوصول إليه.. ابتداء من تكفلك بكل نفقات الزواج عنه إلى تحملك لكل أعباء حياتكما المشتركة لمدة تسع سنوات، وهو قابع في بيته ينتظر العمل اللائق «بمكانته».. إلى تكفلك أيضا بالإنجاب له وإهدائه ما لا يستحقه من جوائز السماء الغالية..

نعم لا عجب في ذلك فلقد اعتاد ألا يتحمل أية مسؤولية.. وألا يشقى لبلوغ الأهداف المرجوة، كما أنه فيما أتصور غير قادر على العطاء للحياة، فكيف يسعد بالأبناء وهم مسؤولية عظمى لكل ذي قلب رحيم.. وعطاء متصل من البداية للنهاية من الأب لأبنائه!

إن الأبوة مسؤولية إنسانية ودينية وأخلاقية وعطاء للبشرية وللأبناء.. وهو لا يتحمل المسؤولية ولا يرغب في العطاء لغير نفسه.. ولهذا فقد سخط على نعمة الإنجاب بدلاً من أن يرضى بها ويشكر ربه عليها.. مصداقاً لقوله تعالى: «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ»[فصلت:51].، ولقد ينعم الله سبحانه وتعالى على من لا يستحق نعمه الجليلة لتكون اختباراً له ويكن حسابه له على ما لم يشكر ربه عليه عسيراً.. تماماً كما ينعم على آخرين بالمال الوفير ليرى وهو البصير بعباده كيف يتصرفون فيه، وهل يحسنون به إلى أنفسهم وغيرهم أم يسيئون؟«وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ»، صدق الله العظيم، [الأنبياء:35].

غير أني أتساءل عما يدفعك لتحمل كل هذا «البطر» منه.. وهو كما فهمت من رسالتك لا يقوم بواجباته الإنسانية والعائلية تجاهك، ثم لا يكتفي بذلك وإنما يزيد عليه أيضا بجرح مشاعرك هذا الجرح الغائر بسخطه على إنجابك منه، ويعاقبك على جريمة الحمل كل مرة بالهجر الطويل؟

ولماذا التزمت بكل هذه السلبية معه.. ولم تحاولي تنبيهه طوال هذه السنين إلى أنه لا يحق له أن يصدم مشاعرك بهذا السخط الكريه على إنجابك منه، ولا أن يعاقبك عليه.. كأنما قد ارتكبت أمرا إذاً؟

إن «الطيور الطليقة» مكانها السماء الفسيحة وليس بيوت الزوجية بمسؤولياتها الإنسانية والدينية والأخلاقية، فإذا لم يكن - بطبيعته الأنانية - قادرا على تحملها.. فليكف على الأقل أذاه المعنوي والنفسي عنك.. فلا يؤلمك بمثل هذه الكلمات الجارحة.. وهذا «العقاب» الشائن كل مرة على غير جريمة، وإذا لم يكن قادراً كذلك على شكر خالقه على نعمته الجليلة عليه فليصمت، وليعقد لسانه عن الخوض فيما لا يجوز له الخوض فيه أو المساس به.

فأما تفكيرك في الانفصال عنه.. فله ما يبرره.. لكنك لست فيما أتصور راغبة فيه ولا قادرة عليه..

ومادام الأمر كذلك فلا بأس بالاستمرار، ولكن بشرط أن يكف أذاه عنك.. ويعرف لك قدرك ويشكر لربه نعمته عليه، ويشاركك في مسؤولياتك عن الأسرة والأبناء، ويندم على ما بدر منه من كلمات ساخطة قبل أن يمسه عقاب ربه ويصبح ذا دعاء عريض، فأما سؤالك عن حياتك معه بعد ما تلفظ به من كلمات شاردة.. فمرد ذلك إلى نيته فيما قال.. وإلى ندمه عليه وتوبته عنه.. واستغفاره لربه بشأنه.. فإذا كان ما قاله من اللغو الذي يندم عليه قائله بعد حين ويستغفر ربه عنه كثيراً.. فإن الله غفور رحيم، أما إذا كان يعنيه بالفعل ويؤمن به حقاً عناداً واستكباراً، ويرفض الندم عليه والتوبة عنه فإن الأمر يختلف، ومن واجبك في هذه الحالة أن تسأليه في ذلك بوضوح لتتأكدي مما يشغل خاطرك ويحق لك أن تتصرفي في حياتك معه على ضوء ذلك.

غير أنني أتصور أن ما قاله كان من باب اللغو الطائش، وأنه لا يفهمه حق فهمه ولا يعنيه ولا يدرك حقيقة مراميه وأبعاده، ومن رحمة ربنا بنا أنه لا يأخذنا بهفوات اللسان ولا بسقطات الكلم في اندفاعات الحمق والطيش والعصبية، وإنما بما تنطوي عليه صدورنا ويستقر عليه وجداننا.. وقديماً قال الإمام مالك رضي الله عنه «إن المسلم لو قال كلمة تحتمل الكفر من مائة وجه وتحتمل الإيمان من وجه فإنه لا يحكم بكفره» والله سبحانه وتعالى أعلم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

النقطة الأخيرة!

أنا زوجة مسنة عركتها الحياة، أودُّ شاكرة التعليق على الرسالة التي وردت لـ «بريد الجمعة»، تحت عنوان العيب الوحيد، وتوجيه بعض النصح للزوجات أمثال هذه الزوجة ممن يتفانين في إظهار الحب والولاء الزائد لأزواجهن. لقد كان ردكم على الرسالة تحليلاً قوياً لنفسية هذا الزوج المتبطر، ونصحتها بالتراجع عن قرارها بالتخلي عن هذا الزوج الذي تحملت الحياة معه طوال سنوات زواجهما الصعبة الأولى، ونصحت الزوج المتبطر على ما أنعم الله به عليه.. ولكني لا أعتقد أنه سيعدل عن قراره مادامت نفسيته قد تمردت عليها، ولن يتراجع سوى في حالة زوال النعمة التي تبطر عليها، واحتياجه مرة أخرى لمن يقف بجانبه. لذلك أردت توجيه هذا النصح إلى أمثال هذه الزوجة حتى تتحقق الوقاية التي هي خير من العلاج، وأرجو منك المعذرة لرأيي الصريح في الرجال، وأعتقد أنك ستعذرني إذا استرجعت معي سيل الرسائل المشابهة التي وردت لبريد الجمعة منذ مولده، فدائماً الزوجة الأكثر حباً وتفانياً وبذلاً هي التي يتخلى عنها زوجها بأي صورة من الصور.. فالرجل ينفر عادة من الحب الزائد الذي يطارده ليل نهار، ويصبح لديه في حكم النظرية المؤكدة أنه يريد البحث عن الجديد، واكتشاف الحب بنفسه لا أن يطرح تحت قدميه حتى يصيبه بما يسمى «تخمة الحب».

أنا لا أقول أبداً للزوجات لا تظهرن حبكن لأزواجكن، بل لابد أن تكون الزوجة محبة وفية مخلصة لزوجها حتى تضمن حياة مستقرة سعيدة، ولكن إظهار هذا الحب ينبغي أن يكون بالقطارة تعطيه منها نقطة بعد نقطة، مع مراعاة الدقة التامة في ألا تفرغ القطارة من كل ما فيها أبداً، آخذة في الحسبان بأن تكون النقطة الأخيرة مع آخر يوم في عمرها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أنشر رسالتك يا سيدتي بالرغم من تحفظي على أفكارها، لأنني أرى أنه من المفيد أن نطلع على وجهة نظر البعض منا في العلاقة الزوجية، وأن نناقشها ونختلف أو نتفق معها بدلاً من تجاهلها.. أما لماذا أتحفظ عليها فلأنني لا أؤمن بمثل هذه الحسابات الدقيقة في العلاقة بين شركاء الحياة، ولا أرى أن تكرار نشر أكثر من قصة غدر من زوج بزوجة محبة وتتفانى في رعايته، يمكن أن يضع قاعدة يكون ما تنصحين به الزوجات هو درسها المستفاد.. فإذا كانت نظرية العطاء العاطفي بالقطارة قد نجحت في تجربتك مع الحياة الزوجية، فإنها قد تكون على الناحية الأخرى سبباً في العديد من الكوارث العائلية في حياة الآخرين، وقد تعطي الأزواج المبرر المنطقي للانصراف بمشاعرهم عن شريكات الحياة، أو تبرير التخلي عنهن والاتجاه بحياتهم إلى طريق آخر والأفضل دائماً ألا يتحفظ

شركاء الحياة في مشاعرهم العاطفية هو تجاه بعضهم البعض، وأن يكافئ كل طرف منهم ما يتلقاه من شريكه من عطاء ورعاية وإخلاص بما يستحقه الشريك من مثل هذا العطاء.

أما العقل المتنبه لما يعطي.. والذي يمنح ويمنع «قطراته» كما يشاء.. ويؤجل ما يملكه من عطاء لمرحلة أخرى من العمر.. فهو يتعارض مع ما ينبغي أن يسود العلاقة الزوجية بين الطرفين من تلقائية في العطاء العاطفي وإخلاص المشاعر وفي كل شيء. ولا عجب في ذلك لأن «الحساب» يتوافق مع العقل في تدبير شئون الحياة الأخرى.. لكنه يتعارض مع العاطفة التي تفسدها مثل هذه التدابير. أما أن الزوج ينفر من الحب الزائد الذي يطارده ليل نهار فهذه أيضاً نظرية خاطئة.. فالرجل لا ينفر من الحب الزائد مهما تخطى كل الحدود، وإنما ينفر من محاصرته وملاحقته بالشك والغيرة والرقابة، وهي أشياء قد ترتبط لدى بعض الزوجات بالحب الزائد الذي تشيرين إليه، وقد ترتبط لدى أخريات بأسباب لا شأن للحب بها، كالرغبة في السيطرة والهيمنة والامتلاك حتى ولو لم يكن للحب وجود في مثل هذه العلاقة.. إذن فلا خطر على الأزواج ولا الزوجات من الحب الزائد، وأن الخطر كل الخطر من إساءة التعبير عنه بمثل هذه السلوكيات، أو من جمود المشاعر والتحفظ في إبدائها لشريك الحياة ضناً بها عليه أو تحسباً من أن يزهده ذلك في شريكته أو إيماناً بمثل هذه النظرية التي تتحدثين عنها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

النار المشتعلة!

لن أنتقي الكلمات لأن ما أحدثك عنه أكبر من أي كلام.. فلقد كان لي ولد يسعد كل من يراه ويحسدني عليه الآباء، وكنت أفخر به وأعتز كثيراً وأدلله كثيراً حين كان صغيراً. ثم كبر صغيري وأصبح عمره أحد عشر عاماً وبدأت أنشد فيه الرجل المأمول.. لكني ظلمت سنه الصغيرة وقتها فيما يبدو، فلقد كان قوي البنية وبدأت الشكوى في المدرسة من أنه مشاغب فقسوت عليه، وبدأت أنهره باستمرار وأراقبه بصفة دائمة، وكان ناجحاً في دراسته لكنى كنت أخشى عليه من أصدقاء السوء ودفعني ذلك لمتابعته في كل مكان.

وكنت دائماً وراءه كظله، فبدأ يتضايق من سخرية أصدقائه منه، من أن أباه يراقبه في كل مكان.. لكني بالرغم من ذلك لم أتوقف عما أفعل.. وكنت أفاجئه بين أصدقائه، وهو شاب وأطلب منه العودة إلى البيت، لأن وقت الفسحة قد انتهى فيستجيب لي صامتاً بلا اعتراض ولأنه كان قد تعلم التدخين في سن الثالثة عشرة فلقد كنت أحاصره لكيلا يتمادى فيه.. وبدأت أعطيه النقود بحساب وتقتير شديد لكيلا يشتري بها السجائر، وفي أحيان كثيرة كنت أعاقبه فلا أعطيه إلا أجر المواصلات.. وفي أحيان أخرى كنت أقوم بتوصيله بنفسي لكيلا أعطيه أي نقود في يده، وكنت أنهره وأضربه كثيراً كلما أخطأ أو تأخر خارج البيت، ومضت الأيام وصغيري يكبر.. وأنا مستمر في طريقة تعاملي معه على هذا النحو.. وكل اعتراضه على ما أفعل معه هو أن يبكي.. ويبكي رغم قوة بنيانه.

ثم مضت السنون ورسب في الجامعة فنال مني ومن والدته كل أنواع التأنيب والسخرية والشتائم والوعيد بمستقبل مظلم.

وفجأة منذ بضعة أسابيع كان برفقة بعض الشباب الذين غابوا عن رقابة أهلهم.. ويبدو أنهم سخروا منه لأنه متين البنيان.. ويصلي ويطيع أباه في عدم التأخر خارج البيت.. ولست أدري ما حدث بينه وبينهم على وجه التحديد لأنه في علم الله، وإنما كل ما أدريه هو أنه لم يعد للبيت في موعده، فقمت بالإبلاغ عن غيابه لمدة أربع وعشرين ساعة عن أسرته.. فلم تمض على ذلك ساعات حتى علمت أن هؤلاء الشباب قد تركوه على سلم أحد المنازل وهو في غيبوبة إلى أن فارق الحياة.

ياربي لقد توفاه الله وغادر عالمنا وتركنا في ذهول، ومهما حاولت أن أصف لك عمق المرارة التي أعيشها أنا وأمه فلن أستطيع، لأنها مرارة فقد أعز ما نملك، ومرارة إساءة معاملتنا له حين رسب في الجامعة، وحين كان يتأخر عن العودة إلى البيت، وحين كنا نجد في ملابسه بعض السجائر وحين كنت أطارده في الجامعة.. وفي الشارع.. وبين أصدقائه.. إنها مرارة لا تصورها الكلمات ولا تطفىء نيرانها المياه.. ولقد ذهبت أنا وأمه إلى العمرة ودعونا له بالرحمة.. لكن النار لم تنطفىء بعد في قلوبنا ولا نستطيع أن ننام.. ويزيد منها أن ابني الصغير يلازم الفراش منذ وفاة أخيه، وهو من النوع العنيد الكتوم وتعليمات الأطباء لنا ألا نضغط عليه في شيء، فخبرني يا سيدي ماذا أفعل تجاه الابن الراحل حتى

يرضى عني؟ ويكون سعيدا في العالم الآخر.. وماذا أفعل للابن الصغير حتى لا يهرب من نفسه مع أصدقاء منحرفين فيكون مصيره مثل مصير أخيه الغالي يرحمه الله؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

هون على نفسك يا سيدي فما أردت لابنك الراحل هذا يرحمه الله في البداية والنهاية إلا خيره وصلاح أمره.. فإذا كنت قد ضللت الطريق إلى الأسلوب الصحيح في التعامل معه.. وقسوت عليه بالفعل.. فلقد يشفع لك في ذلك أنك ما فعلت ما فعلت معه إلا بدافع الخوف عليه من مخاطر الانحراف في هذا الزمن الصعب المحفوف بالمخاوف والأخطار، والخوف الزائد على الأبناء قد يخرج بنا في بعض الأحيان عن جادة الاعتدال، ويفقدنا من حيث لا ندري التواصل السليم معهم.. غير أن هناك فارقاً دائماً بين أخطائنا مع الأبناء بدافع الحب الصادق لهم والحرص الأبوي المخلص عليهم.. وما فعلته مع ابنك رغم خطئه من الناحية التربوية.. لم يكن في النهاية سوى حب أبوي أساء التعبير عن نفسه.. فلم يحقق الهدف منه.. ولو أنك علمت أنه سيفارق الحياة في سن الشباب لما غاليت في هذا الخوف الزائد عليه، ولما قسوت عليه لحظة واحدة.. ولكن أنّى كان لك أن تعلم أن نداء السماء يقترب منه وأنت تتحسب لكل تصرف من تصرفاته.. وتتخوف من المستقبل المظلم بالنسبة له؟ فإذا كان ثمة ما نتعلمه من هذه الرسالة المؤلمة.. فهو ألا نغالي كثيرا في تحسبنا للمستقبل.. ووساوسنا شبه القهرية بشأن سلوك أبنائنا، وأن يكون الاعتدال هو رائدنا دائماً في تعاملنا معهم.. وترفقنا بهم ومحاولاتنا لتقويمهم إذا أخطأوا.. فأعن نفسك يا سيدي على إخماد هذه النار المشتعلة في كبدك وكبد زوجتك.. أعانكما الله عليها بالتسليم بقضاء الله وقدره والامتثال له، والتخفف من هذا الشعور القاتل بالذنب تجاهه. فإذا كنت تسألني ماذا تفعل لكي يرضى عنك هذا الابن الراحل، فلا جواب عندي على هذا السؤال المؤلم سوى أنه في رحاب ربه المطلع على القلوب والسرائر، وحيث تزول الحجب وتنجلي الحقائق ولا تخفى خافية.

ولقد انقطع ما بينه وبين عالمنا الزائل فلم يعد ينفعه سوى صدقة جارية، ودعاء صالح له بأن يعوضه ربه عن شبابه في جنات النعيم.. فحاول يا سيدي أن تستفيد بدرس هذه المحنة المؤلمة في علاقتك بابنك الصغير.. وتعامل معه برفق وفهم وحب.. ولا تغال في خوفك عليه.. كما فعلت مع شقيقه.. وأشعره بالثقة والأمان، لتعينه على اجتياز هذه الفترة العصيبة من حياته.. وحياتكم جميعا، وهكذا يكون العزاء له ولك ولزوجتك. وهكذا يكون الرجاء في رحمة السماء بكم بإذن الله.. و «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ » [الزمر :53].

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الستار المزيف!

أنا فتاة جامعية نشأت في أسرة طيبة ميسورة، وارتبطت عاطفياً بزميل لي في نفس السنة الدراسية ونشأ بيننا حب قوي دام لأكثر من عام، ثم فاتحني فتاي في زواجي منه عرفياً لكي يضمن استمراري معه، وقال لي إنه يكن لي حباً صادقاً لا يقدر على وصفه، فاعترضت في البداية على ما طلبه مني، لكن إلحاحه عليّ أدى إلى كسر شوكتي وتزوجنا عرفياً بدون أن أعي خطر ما أنا مقدمة عليه، وبعد فترة من هذا الزواج السري الذي لم يعلم به أهلي وأهله - وهم أيضاً ميسورون - بدأ يتغير من ناحيتي وبدأ الستار المزيف ينكشف عن أشياء كثيرة، وبدأ يهددني بالانفصال عني إذا لم ألب له أي طلب يطلبه، وتحول إلى إنسان أناني لا يهتم إلا بنفسه، وتحملت ذلك منه لأنني أحبه وأعلم أنه يحبني، لكن زواجنا العرفي قد غيره فأصبح إنساناً متقلب المزاج يكون في بعض الأحيان حنوناً وصادق المشاعر وفي أحيان أخرى عصبياً وشرساً، ولقد وقفت إلى جواره وشجعته دائماً على المذاكرة لكي يحصل على تقدير يرفع مستواه العلمي، ولكن دون فائدة. فلقد كان مستهتراً ولا يتحمل المسؤولية، ولم يحثني مرة واحدة على الاهتمام بدراستي وكانت العاقبة أن ظهرت النتيجة فرسب هو ونجحت أنا، وحين علمت برسوبه لم أشعر بطعم نجاحي وشعرت بالمرارة، وفكرت مراراً في أن أرسب هذه السنة لكي نتساوى دراسياً وعرضت عليه هذه الفكرة لكنه رفضها وسعدت برفضه لأنه يعني أنه يطلب مصلحتي، لكنه مع بداية العام الدراسي الحالي بدأ يلمح لي بعدم رغبته في ذهابي إلى الكلية هذه السنة لكيلا يشعر بالفارق بيننا، وأحزنني ذلك وكشف لي عن حقده وأنانيته وكرهه لتقدمي الدراسي عنه، فلقد كنت على استعداد للرسوب من أجله كتضحية أقدمها له لكنه بعد أن ظهرت لي أنانيته استبعدت هذه الفكرة نهائياً.

إنني أعلم أنني قد أخطأت الاختيار، وأعلم أنني أحبه وهو يحبني، لكن شعوره الدائم أنه يحب أن يكون الأفضل وغروره يبعدانني عنه، وأنا في حيرة من أمري وأشعر أنني في صراع بين خوفي على مستقبلي ومستقبله، وخوفي القاتل من الافتراق عنه فبماذا تنصحني؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ما هذا العبث يا ابنتي؟ وكيف تتزوجين زواجاً عرفياً سرياً بغير علم أسرتك وأنت الفتاة الصغيرة التي يتوسم فيها أهلها الصدق والبراءة، ولا يتخيلون أن تضمر لهم مثل هذه الخديعة الشائنة؟ وبأي صيغة تزوجت وهل توافرت لزواجك المزعوم هذا بغير أوليائك كل أركان وشروط الزواج الصحيح؟

وماذا يكون حالك إذا انتهت العلاقة بينكما بالانفصال، وهو المصير الأرجح لمثل هذا الارتباط العبثي بين شابين صغيرين لم يتوافر لهما نضج الشخصية

الكافي لثبات المشاعر وصحة الاختيار.. هل تطوين هذه الصفحة السرية من حياتك وتتظاهرين أمام أسرتك وأمام من سوف يرتبط بك في المستقبل في زواج شرعي أنه لم يسبق لك الارتباط والزواج؟

إن مشاعر الشباب في مثل هذه السن الصغيرة ليست ثابتة ولا نهائية، وهي لا تكفي وحدها أبداً لتكون جسراً إلى الارتباط المشروع الذي يرجى له النجاح والاستمرار، وكثيرا ما يتسم اختيارهم لشركاء الحياة في هذه المرحلة المبكرة من العمر بالاندفاع وسوء التقدير، وحالك أنت خير مثال على ذلك، فأنت تعترفين بخطأ اختيارك لأنه اختيار قام على مشاعر غير ناضجة ولا نهائية، ولأن هوى النفس الجامح كثيراً ما يطمس الحقائق الجلية عن العقول والأبصار، وحين تتكشف الأستار يكون أوان التصحيح قد فات، وضاعت من العمر سنوات ثمينة وتراجعت فرص الاختيار الصحيح والسعادة الحقيقية والاستقرار في الحياة.

لقد نشرت رسالتك لكي تكون تحذيراً صادقاً لغيرك من الفتيات اللاتي يغريهن بعض الشباب الطائش بمثل هذا الزواج العبثي، بدعوى تعميد اختيار كل منهما للآخر وحجزه لنفسه إلى أن تتوافر الظروف الملائمة لتحويله إلى زواج رسمي، أو بدعوى إرغام الأهل على القبول به ووضعهم أمام الأمر الواقع، وكل ذلك ليس جائزاً ولا مقبولاً ومثل هذا الزواج غير الموثق بنص فتوى للأزهر الشريف ممنوع لآثاره الضارة على الفتاة والأسرة والمجتمع، حتى على الرغم من صحة المعاشرة إذا كان مستوفياً لأركان الزواج وشروطه، فقد يكون الشيء كما يقول نص الفتوى المشار إليها صحيحاً ومع ذلك يكون حراماً كالصلاة في ثوب مغصوب، والحج من مال حرام ومثل زواجك هذا في رأيي المتواضع ليس أكثر من مغامرة عاطفية سرية مدونة على ورقة لا قيمة لها ولا تحفظ للفتاة حقاً، ولا تثبت لها شيئاً سوى اندفاعها وجحودها لأهلها وخيانتها لثقتهم فيها، مما لا يشرف أية فتاة طيبة ولا يرشحها للسعادة الحقيقة في الحياة، وكل ما أخشاه هو أن تكوني قد تزوجت هذا الفتى على الورقة المصورة التي يتناسخها بعض طلبة الكليات، ويخدعون بها الفتيات ليقضوا منهن وطرهم تحت هذا الستار المزيف.. وهي مشكلة أخرى أرجو أن ينتبه لها المسؤولون عن الشباب والدعوة الدينية ويحذروا الفتيات منها لأنها خطر يسري تحت الرماد، فلقد أثبتت الدراسات الاجتماعية في الغرب أن نسبة الفشل في الارتباط الذي يتم في مرحلة المراهقة وبواكير الشباب تزيد على 80 ٪ وأن طرفي مثل هذا الارتباط سرعان ما يكتشف كل منهما خطأ اختياره للآخر، ولكن بعد أن يكونا قد أهدرا أجمل سنوات العمر. ولهذا كله فإن ما أقدمت عليه غير جائز ولا مقبول في مثل سنك ووضعك العائلي، وهو بكل المقاييس طعنة في قلوب أبويك وإخوتك ومن يهمهم أمرك، ونصيحتي الوحيدة لك أن تعترفي لوالدتك بشجاعة بما فعلت وتستعيني بحكمتها على إنقاذ نفسك وسمعتك وأسرتك من هذا الهوان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

ميدان الحياة!

قد يكون ما سوف أعرضه عليك قد طرح أمامك من قبل مراراً، لكني أريد أن أحدثك عنه لإحساسي بأن مجرد البوح به، قد يزيح عن صدري بعض همي، فأنا شاب عمري 35 عاماً، عشت حياة عادية كغيري من البشر، وحصلت على شهادتي المتوسطة وأديت خدمتي العسكرية، وخرجت إلى ميدان الحياة فعملت في عدة أعمال، إلى أن حان وقت الزواج فرزقني الله سبحانه وتعالى بزوجة مؤمنة سكنت إليها ووهبني ربي طفلاً هو آية في الجمال، واكتملت سعادتي وأصبح أقصى هنائي أن أعمل وأكدح طوال النهار لأرجع لأسرتي الصغيرة في نهاية اليوم حاملاً أكياس الفاكهة، ومتطلبات البيت التي تكلفني زوجتي بشرائها، فأجد في بيتي الصغير راحتي وسعادتي وأقضي ساعات طيبة بين زوجتي وطفلي، قبل أن نهجع إلى النوم راضين. ونصحو فنستقبل يوماً جديداً بالأمل والاستبشار، وظلت الحال على هذا النحو إلى أن شعرت ذات يوم بألم شديد في معدتي يزحف إلى أسفل، فاستعنت عليه في البداية ببعض المسكنات، ولكنه تزايد واستمر وأصبحت لا أحتمله فتوجهت إلى الطبيب، وبدأنا رحلة طويلة من التحاليل والأشعات انتهت بأن عرفت أنه المرض اللعين، وبدأت في الذبول كما تذبل الوردة على عودها.. لكني لم أفقد إيماني بربي وسلمت بأنه قد قدر الله وكما شاء فعل، ودخلت معهد الأورام وأنقذني ملائكته قبل أن ينتشر المرض في كل جسمي واستأصلوا جزءاً كبيراً من أمعائي، واستعضت عن عملية الإخراج الطبيعية بكيس من البلاستيك في جانب البطن متصل بالأمعاء ويتم الإخراج عن طريقه، ومازلت أتلقى العلاج بالإشعاع على فترات متباعدة لكيلا يرجع المرض مرة أخرى، وقد تكفل المعهد بمعظم نفقات العلاج، ويتولى والدي أكرمه الله بقية النفقات بالرغم من أنه في السبعين من عمره، وخرج إلى المعاش من السكة الحديد قبل 5 سنوات، ومازال يعمل بالقطاع الخاص لكي يلبي مطالب حياته ونفقات علاجي لأن معاشه وحده لا يكفي للإنفاق على أسرتين، وقد كتبت إليك هذه الرسالة لا لكي أستدر عطف أحد أو أطلب مساعدته، وإنما لكي أقول لك إنني مؤمن بالله رب العالمين ومتمسك بالحياة وبالأمل في المستقبل وكل ما أريده هو أن يقرأ رسالتي هذه أحد أصحاب الأعمال الفضلاء، ويتفهم ظروفي الصحية والنفسية فيمنحني عملاً ملائما أرفع به عن كاهل أبي بعض العبء الذي ينوء به والذي بدأت صحته في الاعتلال بسببه، وبحيث يستطيع أن يستريح بعض الوقت، وأستطيع أن أؤدي رسالتي في الحياة، نحو ابني وزوجتي والمجتمع.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

نعم يا صديقي قدر الله وكما شاء فعل، فلا تعقيب على قضائه، ولا اعتراض، وإنما نتقبل أمره فينا راضين، ونفر من قضاء الله إلى قدر الله. ونهتف بدعاء الرسول

الكريم صلوات الله وسلامه عليه: «رب اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا، لك مطواعاً لك مخبتاً (خاشعا متواضعا) إليك أواهاً منيباً. رب تقبل توبتي واغسل حوبتي إثمي وهمي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري»..

وبعد فإني أضع رسالتك تحت أنظار من يرجون الله واليوم الآخر من أصحاب الأعمال القاهريين.. وأرجو أن تسمح لي الظروف بأن أبشرك في القريب العاجل بإذن الله بخبر تحقيق مطلبك العادل المشروع، وقرب عودتك إلى ميدان الحياة مناضلاً فيه بشرف ومؤدياً رسالتك تجاه طفلك وزوجتك والمجتمع على خير وجه بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لماذا أنام؟

هل تتذكر مشكلة (النوم) التي كتبها الزوج المؤلف المشغول دائما بعمله ويتهم فيها زوجته الفاضلة المخلصة المتفانية في خدمة بيته وأولاده بالنوم؟ إن سؤالي له هو لماذا لم يسأل نفسه يوماً ما الذي يدفع زوجته لهذا السلوك؟

إن لي نفس ظروف هذه الزوجة المطحونة نفسياً وجسمانياً، فأنا متزوجة من عشرين عاماً وأحب زوجي وأولادي وليس لي سواهم في الوجود.

وزوجي يعمل أستاذاً جامعياً، كل حياته وهمه هو كتابة المحاضرات والرسائل العلمية والقراءة ومشاهدة مباريات كرة القدم في جميع المحطات المحلية والعالمية، ويذهب إلى الجامعة يومين فقط في الأسبوع وكل حياته هي حجرة السفرة التي لا ترى فيها سوى الكتب العلمية وليس لها أي استعمال آخر، ولا أتمكن حتى من دعوة أحد على الطعام سوى في رمضان وبعد إلحاح شديد أن يترك لنا جزءا من غرفة السفرة للاستعمال .

إنني أرجع من عملي الساعة 4 إلى تحضير الطعام وفي أحيان كثيرة لا يشاركنا زوجي حيث إنه مشغول بالكتابة أو مشاهدة مباراة. ثم أذهب إلى النوم وبعد ذلك أستيقظ لتحضير العشاء وتحضير أي شيء في المنزل لليوم التالي، أو إعداد شيء للأبناء ومساعدتهم ثم أذهب إلى النوم مرة أخرى للاستعداد لليوم التالي والاستيقاظ الساعة 6.30 صباحاً وهكذا.

ولم يسأل الزوج نفسه أبدا لماذا أهرب إلى النوم؟ إنني ألجأ إليه أولاً لأنني مجهدة، وثانيا لأن حياتي روتينية ولا أريد أن أترك زوجي الذي يشكو من الوحدة ولأنني يمكنني أن أكون مستيقظة فأذهب لزيارة أهلي وأصدقائي أو دعوتهم إلى المنزل أو دعوة أصدقاء أولادي، أو قضاء اليوم في النادي، لكني لا أريد أن أترك زوجي وحده بين كتبه في المنزل، وهو لا يدعوني مرة للغداء في الخارج أو مع الأولاد أو قضاء نهاية الأسبوع في مكان خلوي صحي، رغم أن لنا أصدقاء كثيرين وهو يفضل المنزل والكتب.

فماذا أفعل يا سيدي سوى أن أذهب إلى النوم أو أقرأ القرآن أو الكتب في السرير، وهو ساهر بين المحاضرات والكتب، وهل يريدنى أن أظل جالسة على الكرسي منتظرة له حتى الساعة 2 صباحاً أو بعد ذلك كل يوم؟ لقد رددت على كاتب رسالة النوم بأن زوجته تحتاج إلى مساعدة وفعلاً هي تريد مساعدة نفسية، وتريد أي شيء يجعل للحياة طعماً آخر مع الزوج يستدعي الاستيقاظ وليس الهروب بالنوم، بعد أن قامت بواجبها على أكمل وجه فليساعدنا الأزواج بالاهتمام بنا وتخصيص الوقت الكافي لنا وبتجديد الحياة معنا لكيلا نهرب من ملل الحياة معهم وركودها بالنوم وشكراً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

كدت أن أنسى رسالة النوم، القديمة حتى ذكرتني بها رسالتك هذه.. ولأنني قد ذكرت في تعليقي عليها كل ما يمكن أن يقال بهذا الصدد فإني لن أعيد تكراره وإنما سأقول لك فقط إن «النوم»، قد يكون في بعض الأحيان نوعا من الهروب النفسي من مواجهة الواقع، كما قد تكون له أسبابه الأخرى، ومن بينها و الكسل، الذي استعاذ منه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وقرن في دعائه بينه وبين العجز والمرض، لأنه إذا تجاوز حدوده الطبيعية فإنه يكون تعطيلاً لقدرة الإنسان على العطاء للحياة وقدرته كذلك على الاستمتاع بها، وعلى أية حال فإن بعض الزوجات يتساقطن بالفعل صرعى في نهاية يوم طويل مشحون بالأعمال الشاقة، ويحتجن إلى الراحة الكافية.. وبعضهن على الناحية الأخرى مازلن يعتبرن النوم الكثير من علامات العز والجمال إحياء لذكرى شعراء العرب القدامى الذين كانوا يقرنون بين الجمال والسيادة، وبين النوم الطويل الذي تتميز به السيدة دون الجارية حتى ليريد أحدهم أن يمدح جمال حبيبته فلا يجد أبلغ من أن يصفها بأنها «نؤوم الضحى»، أي التي تنام كل يوم حتى الضحى فتنهض موردة الوجه خالية من تجاعيد السهر وشقاء العمل، والمهم دائما هو تحقيق التوازن بين احتياجات الجسم من الراحة والنوم وبين واجبات الزوجة تجاه زوجها وأسرتها وحياتها العائلية، ومادام زوجك لا يعترض على شيء فلا مشكلة هناك، وإن كنت أرجوه أن يعدل بعض الشيء بين كتبه ودراساته وبين زوجته، لكي يكون نومك احتياجاً طبيعياً لجسمك، وليس نوعاً آخر من الهروب وشكراً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

موقف الاختيار!

أنا شابة في مقتبل العمر نشأت في كنف عمي بعد وفاة أبي وأمي في حادث سيارة وقع لهما وأنا طفلة صغيرة، فضمني عمي إلى أسرته ووجدت لديهما ما عوضني عن أسرتي الراحلة، ولم أشعر ذات يوم بأي تفرقة في المعاملة بيني وبين أبناء عمي، بل لعلي على العكس من ذلك، شعرت مراراً بتمييز عمي وزوجته لي عن أبنائهما وبناتهما، بدافع اللطف والرحمة بمن فقدت والديها، وهكذا مضت رحلة الحياة بي سعيدة هادئة، وبعد أن التحقت بالجامعة ارتبطت في عامي الأول بها بزميل لي واستمرت علاقتي به طوال سنوات الدراسة وتعاهدنا على الزواج، ومنذ فترة فاتحت ابنة عمي - وهي صديقتي المقربة - برغبة زميلي في التقدم لي، فإذا بها تفاجئني بأن شقيقها الأكبر يكن لي حباً عميقاً نادراً منذ سنوات، وأنه صارح والده برغبته في الاقتران بى فوعده بذلك وحثه على الاجتهاد في الدراسة ليكون جديراً بي.. وأنه استجاب لوالده واجتهد في دراسته وتخرج وتقدم في عمله وصورتي كزوجة له تداعب مخيلته، وفعل كذلك ذلك في صمت حتى ودون أن يشير لذلك معي بأية كلمة أو إشارة، بل لقد كان على العكس من ذلك أكثر أفراد الأسرة تجاهلاً لي ونادراً ما كان ينظر إليّ خلال حديثه معي، ولم تكتف ابنة عمي بما صارحتني به، وإنما أطلعتني على ما كتبه من خواطر وأشعار في حبي طوال السنوات الماضية، وقرأته فشعرت بالزهو بنفسي لوجود إنسان كابن عمي يمنحني في صمت كل هذا الحب، وتحسرت وتمنيت لو كان قد أظهر لي خلال السنوات الماضية شيئاً من هذا الحب، إذن لما كانت عيناي قد رأتا في الوجود إنساناً غيره، لكن ما الحيلة وقد كتم مشاعره عني ورأت العين والقلب غيره خلال رحلة الحياة؟!

لقد قضيت بضعة أيام وأنا ذاهلة.. فابن عمي هذا شاب دمث الخلق ومتدين وناجح في مجاله وهو حلم لأية فتاة، والأمر لا يتعلق بمشاعري تجاه زميلي فقط، وإنما يتشعب ويداخله شيء من الإحساس بالذنب تجاه ابن عمي، إذا خذلته، وبأبويه اللذين ربياني وعوضاني عن أبي وأمي.. أيكون جزاؤهما مني أن أفجعهما في ابنهما الذي يعتزان به؟.. إنني حائرة.. وأسأل نفسي أيهما أحق بولايته عليّ الزميل الذي كان نعم العون لي طوال سنوات تعارفنا؟.. أم ابن عمي الذي يحمل لي حباً أكبر من أن أستحقه، ويطوق رقبتي هو أسرته تجميل أقدس من أن أجحده.. فهل لديك مخرج لي من هذه الحيرة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أكاد لا أصدق أن ابن عمك الشاب الذي تتمناه أية فتاة، قد انطوى لك على كل هذا الحب العظيم طوال السنوات الماضية، وإنه استمد من حبه لك القوة الدافعة للاجتهاد في الدراسة، والنجاح في الحياة العملية، وكل ذلك بغير أن تستشعري

ولو بالإحساس الغامض هذا الحب العظيم لك أو رغبته فيك، وعفوا في تشككي في ذلك لأن مثل هذا الحب الكبير لا يخفى على الأنظار حتى ولو لم يصرح به صاحبه، ولهذا فإن أغلب الظن هو أنك لم تفاجئي به كلية حين صارحتك به ابنة عمك، وإنما قد استشعرته من قبل، لكن العين والقلب كما تقولين قد رأيا غيره!

فإذا صح ما استنتجته وربما تكونين قد تجاوزت أنت عنه تجملاً أو رعاية لمشاعر ابن العم ووالديه وإخوته، فإني أقول لك إنه لا حرج عليك في أن تتجه مشاعرك إلى غيره وترغبي في الاقتران به، كما أنه لا تعارض بين ذلك وبين وفائك لعمك وزوجته وأبنائهما، ورعايتك لحقهم عليك، فأنت في النهاية بمثابة الابنة لعمك، ولقد تختار الابنة الطبيعية لنفسها غير ما يرجوه لها الأب، فلا يرى بحكمته ورحمته بها أن يرغمها على غير ما تريد، ولست أحسب أن عمك وقرينته يرضيان لابنهما الذي يفخران به، أن تتزوجيه أنت حرجاً منهما أو حفظاً لجميلهما عليك.. ذلك أن هناك أكثر من وسيلة لرد الجميل والعرفان لهما ليس من بينها زواجك على غير رغبة حقيقية منك بابنهما، كما أنك إذا فعلت ذلك فإنك لا تردين إليهما صنيعهما في الواقع بل لعلك تسيئين إليهما به حين تحكمين على ابنهما بالتعاسة ومعاشرة من لم تكن ترغب في مشاركته الحياة، وليس ذلك مما يسعد أي أبوين أو يرجوانه لابنهما.

ففكري في الأمر كله وأنت متحررة من الربط الخاطىء بين العرفان لعمك وقرينته وبين ضرورة الارتباط بابنهما.. وتعاملي مع ابن عمك كشاب ممتاز يحمل لك حباً عظيماً صامتاً قد ترشحك الحياة للسعادة معه إذا تجاوبت مع مشاعره وبادلته حباً بحب، وقد ترشحك أيضاً للتعاسة معه إذا لم تولد شرارة الحب في قلبك تجاهه، وظل القلب متجهاً إلى شخص آخر، وعلى ضوء ما سوف ينتهي إليه تفكيرك في ابن عمك متحررة من هذا الربط الخاطىء.. وبعد اختبار مشاعرك تجاهه، وتجاه الزميل الآخر، سوف ينتهي بك الاختيار إلى أحدهما دون الآخر فإذا اخترت ابن عمك فليكن ذلك أساساً لشخصه وسجاياه ومزاياه وحبه العظيم لك، واستعدادك النفسي للتجاوب العاطفي معه.. وليس فقط عرفاناً لأبويه بجميلهما عليك لأنهما أول من يعفيانك من التعبير عنه بهذه الوسيلة التي لا تسعدهما، وإذا كان من تختارينه هو زميلك فلست في هذه الحالة في حاجة إلى الاعتذار عن هذا الاختيار لأحد لأنها حياتك ومشاعرك.. وحقك المشروع في اختيار شريك العمر وسوف يكون عمك العطوف هذا هو أول من يعينك على إتمام الزواج منه بحب الأب الرحيم على ربيبته.. وفهمه الصحيح لواجبه الإنساني تجاهها.. والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نداء البراءة!

أكتب لحضرتك الجواب ده وأنا خايف من بابا لأنها أول مرة أعمل حاجة من غير ما يعرف، فأنا زعلان منك لأن بابا أرسل لك مشكلته مع ماما، وحضرتك قلت له أن يطلق ماما، وبابا أحضر الجريدة وأنا قرأت الحكاية وكان مكتوب عليها سر التحول، وبابا لا يكذب وأرسل لماما ناس كتير علشان ترجع، وماما مش راضية خالص وتركتني أنا وأخويا الصغير كل هذا الوقت مع بابا، وهو تعب جدا معانا وكان بيودينا المدرسة ويعمل أكلنا ويغسل ملابسنا وراح لشيخ في الأزهر وقال لبابا لايطلق ماما، لكن حضرتك قلت له يطلقها، وفعلاً سمع الكلام وعمل كده، واحنا أنا وأخويا كنا زعلانين جداً لأننا قلنا إنه يمكن ماما ترجع تاني، لأن بابا مش بيعمل حاجة تزعل ماما وبيحبنا كلنا، وبابا كان مستني ومش راضي يطلق ماما، ولما قلت له يطلقها وافق بعد شوية، فليه حضرتك قلت لبابا يعمل كده. مش يمكن ماما توافق في يوم من الأيام إنها ترجعله، لأن مفيش حاجة وحشة حصلت من بابا، وأكيد ماما بتحبنا وكانت هتوافق في يوم من الأيام إنها ترجعله وبابا كان بيحاول معاها كتير، ودلوقت أنا عايز حضرتك تكلم بابا وماما وتقول له يوافق لما ترجع ماما، لأنه كان قال إنه إذا طلقها لا يوافق على رجوعها تاني، وهو بيسمع كلامك، وهمه الاتنين كويسين جداً وبيحبونا جداً ومفيش حاجة وحشة حصلت بينهم تخليهم يعملوا كده، واحنا مالناش ذنب وبنحبهم والمدرسة قربت ومش عايز نتعب وبابا يتعب تاني زي السنة اللي فاتت، وأنا جبت مجموع كويس وأخويا كمان نجح ولو بابا وماما رجعوا تاني هنذاكر أكثر ونجيب درجات أحسن، وبابا وماما بيصلوا وبيقروا القرآن وبابا كل يوم يروح يصلي الفجر واحنا نايمين وهو بيحبنا وبابا هيعمل لنا الشقة الجديدة وهنبقى فرحانين وهو هيسمع كلامك بس حضرتك قول لبابا وماما، بس قول لبابا، وماتقولش له إنني بعت لك علشان مايزعلش وأرجو حضرتك تكون فهمت الحكاية من كلامي لأني شاطر في كل المواد لكن موضوعات التعبير صعب شوية عليّ، وإذا لم تعرف الحكاية احضر الجورنال اللي كتبت فيه الحكاية وانت تفتكر لأني سألت بابا عن حضرتك فقال إن كل الناس اللي عندها مشكلة بتبعت لك فيمكن تكون ناسي المشكلة بتاعتنا ومتشكر جداً أنا وأخويا إنك هترجع لنا بابا وماما ونعيش مع بعضنا تاني وشكراً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة المؤثرة أقول:

رجعت إلى رسالة أبيك التي نشرت في 12 فبراير الماضي، فوجدته لم يقصر في محاولة الحفاظ على حياتكم العائلية، ولم يضن بأي جهد في محاولة إقناع والدتك بالعودة إليكم، وأنه قد احتمل صابراً هجرها له ولكما طوال 5 أشهر، وإصرارها النهائي على طلب الطلاق حتى لقد هددته بالانتحار إن لم يستجب لرغبتها، وحتى رجتك وأنت الصبي الذي لا يبلغ من العمر سوى 15 عاماً وأخاك الطفل الذي

لا يزيد عمره على سبع سنوات أن تقنعا أباكما بطلاقها، وإلا فإنها سوف تنتحر وتعيشون جميعاً بذنب دفعها للانتحار، فماذا عساني كنت أستطيع أن أقول له يا ولدي وهى تصر على الانفصال عن أبيك إلى هذا الحد، وبعد أن فشلت كل الجهود والمساعي في إقناعها بالعدول عن الطلاق والعودة إليكم، بما فيها جهود رجل الدين الفاضل الذي أشرت إليه.

لقد رأيت له بعد أن استعرضت معه كل هذه الظروف، أنه لا مفر له في النهاية من الاستسلام لرغبتها بصفة مؤقتة لأن قيمنا الدينية والأخلاقية تنهانا عن أن يمسك الرجل امرأة تأبى الحياة معه على غير إرادتها، حتى ولو كرهنا نحن ذلك وتضررنا منه أشد الضرر، ولأن الاستجابة لمطلبها دون تعنت قد تفتح الباب أمامها في المستقبل لمراجعة نفسها والتفكير في مصير أبنائها وحقوقهم عليها، فتهدأ النفوس بعد حين ويتجدد الأمل في الإصلاح، ذات يوم قريب، فإذا كان والدك قد استجاب لهذا الرأي الذي أتردد ألف مرة قبل أن أنصح به أباً لأطفال صغار مثلك ومثل أخيك، فلأنه كان قد يئس تماماً من أي أمل في الإصلاح بينه وبينها ومن أي رجاء في عودتها إليكم، وما كان لمثل رأيي أن يؤثر فيه لو لم يكن قد اقتنع اقتناعاً نهائياً أنه لا جدوى لأي محاولة لاستعادة زوجته إليه وإلى ولديها.

ولقد روى في رسالته أنه كثيراً ما بكى أمامك وأمام أخيك الصغير، من إحساسه بالقهر والحزن واليأس من استعادة أمكما، فماذا كان يستطيع أن يفعل والدك يا ولدي لكي يستعيد إليكما أمكما. أكثر مما فعل؟ وماذا كان بمقدوره أن يفعل أمام إصرارها النهائي على الانفصال عنه؟ فإن كنت تتخوف من أنه سوف يرفض عودتها إليكما إذا قبلت هي بها لأنه كان قد أكد أنه إذا طلقها فلن يعيدها إلى عصمته مرة أخرى، فلقد قال ذلك فقط لكيلا تستسهل والدتك الطلاق وعلى أمل أن يدفعها ذلك الوعيد إلى مراجعة نفسها، واستشعار ما سوف يعانيه ولداها بسببه فترجع عنه، لكني على ثقة من أن قلبه الذي مازال ينبض بحبك وحب أخيك لن يسمح له بالتمسك بهذا الوعيد إذا لمس من أمكما أي بادرة استعداد للعودة إليكم فهو أب رحيم بأبنائه ولقد كان زوجاً محبا لزوجته ومتفانياً في استرضائها، وأحسبه بالرغم مما حدث مازال كذلك، ومثل هذا الأب العطوف لا يرفض عودة أم ابنيه إليه إذا هي رغبت في ذلك.

فإذا كنت تريدني أن أتحدث إلى أبيك في ذلك فإني على أتم استعداد لأن أفعل ذلك بلا تردد، كما أني على استعداد أيضا لأن أتحدث إلى والدتك في أمر عودتها إليكم، لكني أرجوك فقط في أن تستأذنها لي في الاتصال بها تليفونيا لأني لا أفضل أن أحدث أحداً عن حياته الشخصية ما لم يأذن لي بذلك، وإن كانت رسالتك الصادقة هذه أبلغ من أي كلمات أستطيع أن أقولها لها، وأقدر على تصوير عمق احتياجك واحتياج أخيك إلى أمكما وإلى الحياة العائلية الهادئة التي، حرمتما منها.

وإني لأدعوها إلى قراءة هذه الرسالة ألف مرة وتأمل معانيها واستشعار ما تعكسه من حيرة صبي في الخامسة عشرة من عمره. وإشفاقه على نفسه وعلى

أخيه الطفل من غياب أمهما عن حياتهما، وحلمه الحسير بأن ترجع الأيام الهانئة التي كان يعيش فيها مع أخيه في ظلال أبوين يجمع بينهما سقف واحد.

إنها رسالة تفتت الحجر ولو كان صلداً، وأسألها بعد ذلك: أي شيء في الحياة يستحق أن تحرم من أجله هذا الصبي الحائر وهذا الطفل الصغير من الأمان والاستقرار، ودفء وجود الأم في حياتهما؟ نعم أي سبب يا سيدتي يمكن أن يصمد لمثل هذا النداء البريء من طفليك ولو كانت لديك كل أسباب الدنيا للانفصال عن أبيهما؟

أما أنت يا صديقي الصغير فلا تخش شيئاً من غضب أبيك منك لأنك قد كتبت إليّ دون علمه، فهو لن يغضب أبداً منك وإنما سوف يقدر لك حبك له وإشفاقك عليه مما يتحمله من عناء وحده في رعايتكما، ولسوف يزداد حباً لك وعطفاً عليك كعهده معك ومع أخيك، فإذا كان في رسالتك ما سوف يحزنه - دون أي غضب منك - فهو ما تصوره من حيرتك أنت وشقيقك وافتقادكما لأمكما وأملكما المحروم في عودتها إليكما.. وكل ذلك لا ذنب لك ولا لأخيك فيه ولا جريرة والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفكرة الملحة!

مشكلتي غريبة وفيها اعتراف مني بشئ لا أعرف له سبباً، ولا أستطيع الفكاك منه أو منعه، لذلك فلقد لجأت إليك لتجد لي حلاً لما أعانيه من هذا العذاب الدائم.. فأنا فتاة جامعية خريجة إحدى كليات القمة، وعمري سبعة وعشرون عاماً، ولم أتزوج حتى الآن. ولست منشغلة بالزواج أو عدمه، فلقد تقدم لي كثيرون ولكني أرفضهم لبعد مستواهم عنى سواء المستوى المادي أم العلمي والثقافي أم الاجتماعي، وعلى أية حال فإني لم أكتب لك من أجل ذلك، وإنما لشيء آخر أعانيه وأشعر بأنه ليس بيدي.. ولا تتعجب حين أعترف لك به وأقول لك إننى حاسدة.. نعم يا سيدي أنا حاسدة بكل ما تعني هذه الكلمة!

فلو أن أحداً بيده كوب من الشاي يشربه ونظرت إليه ملياً، وقلت في نفسي ما أجمل هذا الكوب فإنه ينكسر فوراً بأي طريقة!

ولو أنني رأيت امرأة ترتدي قرطاً أو عقداً من الألماس أو اللؤلؤ الثمين ونظرت إليها وانبهرت وقلت في نفسي ما أجمل هذا القرط أو العقد فإنه قد ينفرط فوراً، ويضيع تحت الأقدام!

حتى أن أبي رحمه الله حينما اشترى عربة جديدة غالية الثمن جدا، ورأيتها فنظرت إليها وأبي بداخلها، وقلت ما أجملها في نفسى وانبهرت جداً بها، فلم يكد أبي يتحرك بالعربة إلى الشارع الرئيسي الواسع حتى جاءت سيارة وصدمت العربة. وبعد حادث السيارة أصبحت لا أذهب إلى مكان إلا وتحدث به مصيبة.

وقد بدأ عدد من الأقارب والمعارف يستاؤون من زيارتي لهم أو من رؤيتهم لي ولو حتى مصادفة.

وحقيقة إنهم لا يواجهونني بذلك مباشرة.. لكني فهمت من تصرفاتهم معي، أنهم لا يرحبون بي ويفضلون عدم رؤيتي.

إنني كما قلت جامعية ومثقفة، لذلك لم أسكت ولم أقف مكتوبة اليدين، وإنما أحضرت كتباً كثيرة في علم النفس تتحدث عن الحسد وأسبابه ودوافعه وكيفية التغلب عليه، ولكن بلا فائدة، بل إنه من المضحك وشر البلية ما يضحك، هو أنني كثيراً ما أحسد نفسي.. فلقد اشتريت فستاناً جديداً رائعاً، وأخذته من البائعة، وكان آخر فستان عندها. وأسرعت إلى منزلي سعيدة جداً به وارتديته أمام المرآة في حجرة النوم. وقلت في نفسي ما أجملك وأنت ترتدين هذا الفستان الرائع ثم خرجت من حجرة النوم لكي تراني به أمي.. فاصطدمت بأخي الأصغر وانسكب كوب الشاي على الفستان الجديد.

إنني في جحيم، فهل أجد عندك حلاً لمشكلتي الغريبة هذه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

الحسد يا آنستي هو تمني زوال النعمة عن الآخرين، وبهذا المفهوم فإن الإعجاب بالأشياء وإطراءها ليس من الحسد المذموم في شيء.

ولهذا فإنه يخيل إليّ أنك تبالغين في اتهام نفسك بسوء الطوية وتحملينها مسؤولية ما تتعرض له بعض الأشياء من تلف عارض، عقب إعجابك الداخلي بها، ولا شك أن ما تروين عنه إنما هو من قبيل المصادفات التي لا تصنع قاعدة، ولا يمكن أن تجعل منك سبباً حقيقياً لإتلاف هذه الأشياء.. إذ ما هي العلاقة السببية - وأنت الجامعية المثقفة - بين نظرك إلى كوب من الشاي، وتحطم هذا الكوب بعد قليل لتلف فيه أو من أثر الحرارة؟ وما هي العلاقة السببية بين إعجابك بعقد من اللؤلؤ وانفراطه كما قد يحدث كثيراً في حضورك أو غيابك، ولماذا تكون الأشعة الصادرة عن عينيك وحدها هي المسؤولة عن ذلك وليست أعين الآخرين؟

إنني أتهمك بالتطير من نفسك، وهذا أمر خطير حقاً.. ويمكن أن يؤثر حقاً على تواصلك مع الآخرين.. وأطالبك بتعديل أفكارك عن نفسك وإعفائها من أية مسؤولية عما يصيب الأشياء من تغيرات عارضة لا شأن لك بها ولا مسؤولية لك عنها.

فهذه الفكرة المسيطرة عليك هي من قبيل الوساوس القهرية التي تلح عليك رغماً عنك، وقد يكون لها أسوأ الأثر على حياتك الاجتماعية.. والفكرة القهرية التي تلح على الإنسان هي غالباً فكرة ضلالية أي خاطئة ولا منطقية.

وعلى أي حال فإنك تستطيعين الاستعانة على هذه الفكرة القهرية بخبرة الطبيب النفسي المتخصص، كما تستطيعين أيضا أن ترددي كثيراً فيما بينك وبين نفسك هذه العبارة من دعاء الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه:«... وسدد لساني، وأهد قلبي، واسلل سخيمة صدري»، وسخيمة الصدر - كما في المعجم الوسيط - هي الحقد والضغينة، والأفكار السلبية التي تراود النفس فتضيق بها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حق النقد!

أنا سيدة في الثلاثين من عمري حاصلة على مؤهل عال، ومتزوجة منذ ست سنوات زواجاً متكافئاً ومبنياً على الحب الهادئ وعندي طفلان (3 سنوات وسنة). ولقد بدأنا أنا وزوجي حياتنا الزوجية من الصفر، فلم يكن لدينا أغلب الأجهزة الكمالية وبدأنا في شقة صغيرة متواضعة وكافحنا معاً حتى استطعنا والحمد لله الانتقال إلى شقة أكبر وتأثيها بمستوى جيد. والمشكلة هي أني قبل الزواج كنت أهتم بنفسي ومظهري جدا لأنه كان عندي الوقت الكافي لذلك.

وأيضاً المال ولم أكن أحس بمسؤوليتي في أن أشارك زوجي في تحسين مستوى معيشتنا، فكنت أصرف مرتبي على الملابس والمظهر بصفة عامة مثل أي بنت في سني، أما بعد الزواج فكنت أشعر بأن بيتنا أحق مني بكل مرتبي فأضع مرتبي على مرتب زوجي لكي نسدد الأقساط التي علينا، كما أن طفليّ الآن يحتاجان مني لمجهود جبار، وخصوصا أن زوجي يترفع عن أن يساعدني في أي شأن من شئون البيت، أو الأطفال فكل مهمته هي العمل وإحضار النقود وهو بعد ذلك غير مسؤول عن عمل أي شيء في المنزل حتى عندما كنت أشعر بالتعب أو المرض، وأحتاج إلى الراحة قليلاً كنت أشعر أن زوجي يتضايق ليس لأني أتألم ولكن لأنه مضطر للقيام بشئون الطفلين ورعايتهما، ورغم كل هذا المجهود فزوجي ينتقدني دائماً لأني لا أهتم بمظهري، ولأنني لا أستطيع التجاوب معه عاطفياً لأني في آخر اليوم بعد أن ينام طفلاي أشعر بتعب شديد، وأحتاج إلى أن أنام لكي أرتاح من هذا المجهود الذي لا يكلف نفسه أن يساعدني فيه رغم أني أعمل مثله، وأيضا لأنه بخيل جداً في إظهار مشاعره نحوي وكل ما أجده منه هو النقد الدائم فكيف بربك ينتظر مني أن أهتم أنا باحتياجاته العاطفية وأكون معه مثل أيام الخطوبة.

إنني أرجو أن توجه كلمة إلى الأزواج لكي يراعوا مشاعر زوجاتهم، فالزوجة تحتاج إلى الكلمة الحلوة والمشاعر الطيبة من الزوج مثلما يحتاجها هو، وتحب أن تشعر بأنها مرغوبة ومحبوبة منه ليس في فترة الخطوبة فقط لأن المسؤولية تزداد والمجهود المطلوب منها أكبر وتحتاج لمساندة زوجها لكي تستطيع الاستمرار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إذا كان الثناء المستمر والزائد على الحد يدير الرؤوس ويسرب الغرور الأحمق إلى بعض العقول، فإن الانتقاد الدائم لا يقل خطراً على المرء منه، لأنه يغرس الإحباط في النفس ويقعد الهمة عن محاولة الإصلاح أو السعي لطلب الكمال، ولا عجب في ذلك ما دام المرء لن ينجو من النقد مهما حاول أو فعل، ولا غرابة أيضاً لأن أبسط ما يحققه الانتقاد المستمر بحق وبغير حق من شريك الحياة لشريكه هو

أنه يفقد معناه لدى من يتعرض له.. بسبب التكرار والاعتياد فيضيع أثره ولا يخلف وراءه إلا المرارات والضغائن، فضلاً عن أنه قد يصبح عادة قهرية لمن يمارسه.. فيجد نفسه مدفوعاً لانتقاد كل فعل - وإن رضي عنه في أعماقه ولازدراء كل تصرف وإن لم يكن حانقاً عليه حقيقة، أو إلى هذا الحد في واقع الحال، لهذا فإن من واجب الإنسان أن يقاوم في نفسه هذه العادة القهرية التي تميل به نفسياً من حيث لا يدرك ذلك للمسارعة بانتقاد الغير، وعدم التحفظ في ذلك أو التروي فيه، ومن المفهوم لدى كثيرين أن ممارسة النقد المستمر للآخرين إنما تنطوي على جانب خفي هو إحساس المنتقد بشيء من الاستعلاء النفسي أو العقلي على من يوجه إليه سهام نقده المتصل، فكأنما يقول لنفسه بانتقاده الدائم للغير إنه أفضل منهم، فليمارس كل منا إذن حق النقد لشريك حياته أو للآخرين عند الضرورة باعتدال شديد وتحفظ أشد، لكي تبقى لهذا النقد قيمته ويحقق أثره المرجو منه، ولنكن أسرع إلى الشكر والاعتراف للآخرين بفضائلهم وجهودهم وعطائهم منا إلى نقدهم وجحد فضلهم واتهامهم بالتقصير، وإلا فلن يفيد النقد شيئاً إذا استشعر الغير آفة الاستعلاء العقلي فيه، أو شبهة العادة القهرية والاستنامة إليه باعتباره الأيسر على اللسان من غيره.

أما نداؤك للأرواح بمراعاة مشاعر زوجاتهم وعدم البخل في التعبير لهن عن المشاعر الطيبة، فهو نداء عادل أؤيدك فيه كما أؤيد كذلك كل نداء يدعو الزوجة لمبادلة زوجها هذا التعبير عن المشاعر، ولبذل جهدها لتحقيق المعادلة الصعبة بين الاهتمام بشئون الأطفال والبيت، وبين الاهتمام بنفسها والتجاوب العاطفي مع زوجها.. وشكراً لك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوصمة!

ونحن على أبواب قرن جديد.. نتطلع إلى الكثير والكثير ونحلم!! ونحلم!! وفي غمرة أحلامنا نسينا أو تناسينا بناتنا الصغيرات (المطلقات) إذ أن من حقهن أن نحلم لهن ومعهن ونحقق لهن بعض أمالهن وطموحاتهن.. فماذا أعد لهن قانون الأحوال الشخصية؟؟ ماذا أعد لفتياتنا الصغيرات اللاتي صدمن في بداية حياتهن الوردية بشيء بغيض إلى الله وإلى الناس، وإليهن وهو الطلاق؟

إن معظم المطلقات حالياً فتيات في عمر الزهور، لم يعشن حياتهن كما كن يحلمن بها، وكما يتناسب مع شبابهن وجمالهن ومعظمهن خرجن من هذه التجربة بطفل أو بأطفال ..

ولا ذنب لهن ولا جريرة في ذلك!! فقد وجدن أنفسهن متزوجات في سن صغيرة، متزوجات باللفظ فقط فلا هن أدركن معنى الزواج، ولا هن حققن بهذا الزواج السعادة التي كن ينشدنها.

وهكذا خرجن من التجربة مهيضات الجناح.. مكتئبات يحرم عليهن أن يمارسن حياتهن العادية كما يمارسها غيرهن.

والأهم من ذلك كله أن كلمة (مطلقة) تظل تلاحقهن في كل مكان.. عند استخراج بطاقة شخصية، أو عند استخراج جواز سفر أو عند تسلم العمل في أي وظيفة.

وإذا سمحت لهن الظروف بالزواج مرة أخرى تكون الطامة الكبرى.. فعقد القران يتم حالياً بالمسجد في حضور كثيرين والمطلوب من المأذون أن يطلع على قسيمة الطلاق من الزوج السابق، ويسمع الكثيرون ويشهدون بما يقال بين الزوج ووالد الفتاة من عبارة مثل زوجتك ابنتي (الثيب).. ولابد من إثبات ما يفيد أنها مطلقة وسبق لها الزواج في قسيمة الزواج، فهل نسى مشرعو الأحوال الشخصية هذه الحالة؟!

ألا يوجد مخرج لهؤلاء الفتيات؟! وبدلاً من أن تظل هذه (الوصمة) تلاحقهن إلى ما لا نهاية في العمل وفي كل مكان، إذا لابد من تقديم القسيمة في كل من عمل الزوج والزوجة؟

وما أدراك ما يحدث عندما يطلع هؤلاء على هذه القسيمة!!

إننا نرجو ونلح في الرجاء نحن الأمهات أن يقف مشرعو الأحوال الشخصية في صف هؤلاء الفتيات.. ويحاولوا استبدال الكلمات الجارحة بأخرى غير جارحة مثل (غير متزوجة) مثلاً في البطاقة الشخصية أو جواز السفر، وكذلك في قسيمة الزواج الجديد مادام المأذون قد اطلع على قسيمة الطلاق السابق، ومادامت جميع البيانات مسجلة في السجلات الرسمية.

نأمل ذلك ونسأل الله أن يهدينا جميعا سواء السبيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إذا كان حل المشكلة التي تعتبرينها، «كالوصمة»، بالنسبة لبعض الفتيات سيئات الحظ في الزواج الأول، هي في استبدال كلمة، غير متزوجة، بكلمة، مطلقة، في بيانات الأحوال الشخصية وجواز السفر ومسوغات العمل، فلا بأس بذلك، رعاية للمشاعر إذا لم يترتب عليه متاعب جديدة لأطراف القضية، وأقر المشروعون وجاهة ذلك لكن يمكن تفادي ذلك في صيغة عقد الزواج التالي ومن شأنه إثبات حالة الزوجة عند الزواج بكراً كانت أم ثيباً اللهم إلا إذا اعتبرنا عبارة غير متزوجة، **ترجمة رقيقة لكلمة، مطلقة، وتم التعامل بها على هذا الأساس في كل الأوراق الرسمية، على أية حال فإني أنشر رسالتك لما تعكسه من وجهة نظر أم مشفقة على ابنتها من وقع كلمة مطلقة عليها حتى ولو كنت أختلف معك في اعتبار ذلك، وصمة، لمن لم يصادفهن التوفيق في زواجهن.. وشكراً لك.**

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القذائف النارية!

أنا شاب في التاسعة والعشرين من عمري أعمل بوظيفة جيدة بإحدى الدول العربية، وأنا الابن الوحيد لأب رحل عن الحياة منذ تسع سنوات، ولي 4 شقيقات تزوجت اثنتان منهن والأخريان في سن الشباب ووالدتي على قيد الحياة ومشكلتي هي أنني قد اختارت لي أقداري أماً متسلطة لأقصى درجات التسلط وتعاني حب التملك والسيطرة وشراسة اللسان ولقد كانت في وجود أبي تستمتع بتنغيص حياة فلذات أكبادها وتمارس علينا ضغوطاً رهيبة و تتلذذ باستثارة أبينا ضدنا فيقوم رحمه الله بعقابنا أشد العقاب دون تحقيق أو تمحيص وكانت النتيجة أن خرجنا إلى الحياة فاقدي الثقة في أنفسنا وفي كل شيء ونعاني الإحساس بعدم الأمان وبالخوف من المستقبل من الآخرين وكان لي النصيب الأكبر من هذه الأحاسيس والمخاوف لأنني الابن الأكبر.

ولقد كان أبي يتحمل مسؤوليته عن حياتنا بصعوبة لقلة دخله.. ولمعاناته المستمرة مع أمي وخلافاته اليومية معها التي كانت أمي تتجاوز فيها كل الحدود، وتطلق قذائفها النارية في كل اتجاه، ورحل أبي عن الحياة وأنا في عامي الجامعي الأخير، وسترنا الله حتى تخرجت في الجامعة، وأصبحت وأنا في الحادية والعشرين من عمري رب الأسرة المسؤول عنها والزوج والابن والأخ لكل أفرادها، وخلت الدنيا من حول أمي ممن كانت تنغص عليه حياته كل يوم حتى اللحظة الأخيرة من عمره وهو أبي، ولم تجد أمامها سواي فراحت تفرغ فيّ كل طاقتها على الشجار والعناد والخلاف، وبدأت المشاحنات والمشاجرات التي تنتهي دائماً بإطلاق القذائف وصب اللعنات عليّ وعلى شقيقاتي بالرغم من تحملي لمسؤولية البيت بالكامل وعدم تقصيري في أي شيء، حتى أصبح خروج أية شقيقة لي من بيتنا بالزواج إنقاذاً لها من الجحيم الذي يعيش فيه إخوتها، وبعثاً لها من جديد، ولقد خرجت اثنتان فودعتهما أمي بحفلات النكد والخصام واللعن والسباب في ليلة زفاف كل منهما.

أما أنا فلقد توزعت حياتي بين الكفاح من أجل الحفاظ على كيان الأسرة وتجهيز البنات وبين بناء مستقبلي، وكان هاجسي الدائم هو من تكون تلك الإنسانة التي يمكن أن تشاركني حياتي، وتتحمل أمي وقدرتها على إشعال النار في قلب أكثر البشر برود بقذائفها الملتهبة التي لا ينجو منها أحد؟ وبسبب هذا الهاجس الدائم عزفت عن الارتباط بأية فتاة خوفاً من هذه المواجهة المرتقبة.

وبعد أن استقرت أحوالي المادية، وأمضيت عدة سنوات في الغربة بدأت أبحث عن هذه الإنسانة و النادرة، التي يمكن أن تحقق لي المستحيل. فترضيني، وتنجح في إرضاء أمي التي يعجز عن إرضائها أي بشر. ثم تعرفت على فتاة من نفس مستواي الاجتماعي وأحببتها وتقدمت لخطبتها وتمت الخطبة وعدت لمقر عملي وكلي أمل في أن تحدث المعجزة ويتم الزواج، ولكن هيهات أن تخيب الهواجس والتوقعات، فلقد دبت الخلافات الشديدة، وراحت أمي تطلق سهامها المسمومة وتوقع بيني وبين خطيبتي بمنتهى الدهاء، وقوبل ذلك بردود فعل

عنيفة من جانب خطيبتي وأسرتها، ونجحت أمي بذكائها وبغباء أسرة خطيبتي في الإجهاز على الحلم الوليد، واستسلمت أنا لأقداري وعانيت طوال ستة أشهر الانهيار النفسي بغير أن ترحم أمي عذابي أو تقدر مشاعري، وكان يوم إرجاع أسرة خطيبتي للشبكة يوم فرح وسرور بالنسبة لها!

ثم بدأت في غربتي ووحدتى أشعر تجاه أمي بمشاعر سلبية كريهة، وتفجرت في داخلي مكامن الغضب المكبوتة في أعماقي طوال رحلة العمر، وشعرت بأنها قد دمرت حياتي بالرغم من رجائي لها ألا تتدخل فيها، وألا تسعى لتدميرها.. فكان أن دمرتها كما دمرت حياة شقيقاتي ومازالت، وإذا بي أشعر برغبة جامحة في مقاطعة أمي مع استمراري في إرسال النقود إليها.. ونفذت هذه الرغبة الجامحة ولم أعد أكتب لها أي خطابات أو أتصل بها من غربتي تليفونياً وتولدت لدي رغبة في أن أحرمها مني كما حرمتني من سعادتي، ولست أقصد بذلك أنني أريد العودة لخطيبتي التي تخلت عني بمنتهى السهولة، ولم تحاول الوقوف إلى جانبي ومساندتي، وإنما أقصد و سعادتي، التي ستظل تحرمني منها مادامت مستمرة في أسلوبها معي ومع الجميع. إنني أعلم الآن أنك تنقم على لهذه العبارات القاسية عن أمي لكني ضحية لظروف لا يد لي فيها.. كما أنني الآن في مرحلة شذوذ عاطفي قلبت حياتي رأساً على عقب، وأشعر بحاجتي إلى من يشير عليّ وينصحني ماذا أفعل مع أمي التي لا هدف لها سوى إخضاعنا كأبناء لها وإذلالنا وتدمير معنوياتنا.. إننى أرجو ألا تنصحني بالصبر وانتظار الفرج لأنني انتظره منذ وعيت للحياة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لو أنني نشرت كل ما ذكرته في رسالتك الكريهة هذه عن والدتك لحق لك أن تتوقع مني ما هو أكثر من النقمة عليك لمشاعرك السلبية تجاهها.. لكنك على أية حال تدرك أنك الآن في مرحلة شذوذ عاطفي وأن هذا الشذوذ يعني الخروج على المألوف من مشاعر الإنسان السوية، ومن شذوذ العواطف بالفعل أن يحمل الإنسان مشاعر الكراهية لأمه أو أبيه أو شقيقه، لأنها أحاسيس مضادة للفطرة التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها. إذ قد يغضب، المرء من أبيه أو أمه أو شقيقه أو أخته لبعض الوقت، وقد يأخذ على أحدهم ما يراه افتراءًا عليه أو تقصيراً في حقوقه أو إساءة له.. لكن هذا الغضب لا يتفاعل في أعماقه فيستحيل إلى كراهية متأصلة تجاه أحدهم أبدا، وهيهات لإنسان ينطوي على مثل هذا الإحساس البغيض تجاه أمه أو أبيه أو أحد أشقائه، أن يحيا حياة طبيعية، أو أن يكون قادراً على حب الآخرين والعطاء لهم. فضلاً عن أن الإنسان لا يسعد بحياته أبداً وأعماقه تضطرم بمثل هذه المشاعر الكريهة تجاه من أمره الله بالرفق بهما ولو ظلماه كما هدانا إلى ذلك الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه.

لهذا فإنني لن أنصحك بالصبر على ما تلاقيه من والدتك، ولا بانتظار الفرج، الذي لا يعني للأسف في مفهومك سوى شيء أكثر بغضا، وإنما سأنصحك فقط بأن تكون إنساناً سوياً يغضب من أمه أو يكره منها سلوكها وتصرفاتها، لكنه لا يكرهها هي نفسها أبداً ولو ظلمته ولا يقاطعها إنسانياً ولا يحرمها منه رداً على ما يراه هو من وجهة نظره مسؤوليتها في فشل ارتباطه بفتاة أراد الارتباط بها.

ونحن على أية حال نستطيع أن نتعامل مع من لا مفر لنا من التعامل معهم بمشاعر الرحمة، إن عجزنا عن التعامل معهم بمشاعر الحب، وبإحساس الإشفاق عليهم من شر أنفسهم، إن عجزنا عن التعامل معهم بإحساس الاعتزاز بهم، كما أننا نستطيع في آخر المطاف إن خلت قلوبنا حتى من الحب والرحمة والإشفاق، أن نتعامل معهم بحيادية في المشاعر، فنؤدي واجبنا تجاههم.. ونتفادى أشواكهم.. ونتحفظ في إبداء المشاعر السلبية تجاههم.. أما الإفاضة في الحديث عن المشاعر البغيضة تجاه من أمرنا الله بمحبتهم ورعايتهم والبر بهم فليس من الإيمان، ولا هو من الصحة النفسية في شيء.. ولقد أحسن الله بنا أن أعفانا من الحساب على مشاعرنا السلبية تجاه الآخرين ما لم تتجاوز الصدور، وتتحول إلى أفعال وتصرفات تسيء إليهم، فأعف نفسك أيها الشاب من هذا الإثم العظيم.. وصل والدتك كما كنت تصلها من قبل، وتعلم درس تجربتك السابقة في هذه الخطبة الفاشلة، وحاول أن تبدأ مشروعاً جديداً للارتباط لا تدع فيه بذكائك أنت ثغرة لما تعتبره أنت، ذكاء، شريراً من جانب والدتك، لكي تفسده عليك..

ولسوف تتخلص من هذه المشاعر البغيضة تدريجياً مع تسليمك بشذوذها واستشعارك لخطورتها على اتزانك النفسي، ولسوف يوفقك الله إلى فتاة تكون أكثر حيلة في مواجهة هذا الدهاء، الذي تدعيه لوالدتك، فتصمد له وتتمسك بك، وينجح ارتباطك بها بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جفاف النبع!

أنا زوجة وأم تزوجت منذ ثماني سنوات من رجل طيب وكريم الخلق ويرعى الله في عمله، وعشنا معاً حياة دافئة بالحب والمودة والحنان، بفضل حبي لزوجي وحب زوجي لي، وإلى جانب طبيعته المرحة والودود، فلقد أسبغ زوجي على حياتنا قدراً كبيراً من البهجة بطيبته وخفة روحه.. وحبه لي.. وكان دائم الضحك والمرح والمعابثة معي.. ولا يكف عن مغازلتي كل يوم بكلمات الحب الجميلة كأننا خطيبان في فترة الخطبة الأولى.. بل وكان أيضاً يكتب الشعر في حبي ويقرأه عليّ لأنه من هواة كتابة الشعر وإلقائه، وبعد إنجابي لطفلي الثاني وجدت أنني لا أستطيع الاستمرار في عملي كموظفة حكومية وحصلت على أجازة بدون راتب لكي أرعى الطفلين ثم أنجبت الطفل الثالث فأصبحت مسؤوليتي أكبر ومددت الأجازة لفترة أخرى لكي أقدم لأطفالي ما يحتاجون إليه من رعاية واهتمام وحنان.

ومضت بي الحياة حافلة بالمشاغل اللذيذة من رعاية الأطفال وتلبية مطالبهم وفض اشتباكاتهم الصغيرة.. وتنظيم أوقات طعامهم.. ولهوهم.. ونزهاتهم، وزوجي يرجع من عمله فيتفرغ لمداعبة الأطفال.. ومداعبتي، ويصطحبهم لشراء الحلوى واللعب الصغيرة أو لشراء متطلبات البيت، ومن حين لآخر يدعونا للخروج كلنا في زيارة عائلية أو إلى إحدى مدن الملاهي.. أو إلى المشي في الشارع بلا هدف.. ويجد دائماً ما يعلق عليه بظرف وخفة دم فتمضي نزهتنا في مرح حتى نعود.. ومنذ عام واحد رحلت عن الحياة والدته يرحمها الله فحزن لرحيلها وبكي كثيراً وغابت الضحكة عن وجهه.. وشاركته حزنه وتعاطفت معه، وبدأ يكثر من السفر إلى بلدته، ليزور أخويه اللذين يكبرانه واللذين ربياه من بعد أبيه حيث مات والده وهو طفل صغير، ويزور قبر والدته ويرجع واجماً حزيناً، فأرقبه في إشفاق وأدعو له الله أن يترفق به.

وانتظرت أن يتخفف زوجي الحبيب من حزنه مع الأيام وبدأ بالفعل يستعيد بعض حماسه السابق بعد عدة أسابيع، فإذا به يصدم صدمة أخرى برحيل شقيقه الأكبر عن الحياة.. وازدادت أحزانه بدلاً من أن تهدأ ورجع للسفر إلى بلدته كل خميس ليرعى شئون أسرة شقيقه ويزور قبور الراحلين ويرجع من رحلته حزيناً مهموماً..

واشتد إشفاقي على زوجي مما يشعر به من وحشة وألم لفراق والدته وشقيقه الذي كان يعتبره بمنزلة أبيه.. وتمنيت أن تسرع الأيام في سيرها لكي تبعد الذكرى وتهدأ الأحزان.. لكن الأيام جاءت بما لا تشتهي السفن وصدم زوجي صدمته الثالثة بعد بضعة شهور أخرى.. ففجع برحيل شقيقه الذي يلي أخاه الأكبر في السن بغير سابق إنذار.. فاستقرت الكآبة في نفسه.. وانشغل بالسفر كل بضعة أيام إلى بلدته ليرعى شئون أسرتي شقيقيه.. وبيت العائلة ومصالح الأسرة لأن شقيقه الأصغر لا خبرة له بالتعامل مع المصالح الحكومية..

وشجعته على القيام بواجباته العائلية تجاه أسرته.. وتحملت غيابه وبعده عنا في صبر والتمست له العذر في انشغاله بشئون عائلته لأنه يمر بظروف قاسية.. ولأن أخويه اللذين رحلا عن الحياة بعد أمهما في فترة قصيرة كانا إلى جانب أمه كل شيء له في الحياة..، لكن المشكلة اتخذت شكلاً آخر أدى إلى تغير صورة الحياة في أسرتنا.. فلقد تغيرت أشياء كثيرة في شخصية زوجي خلال هذا العام، وبعد أن كان دائم الضحك والمرح والدعابة.. أصبح دائم الحزن والاكتئاب والتجهم..، وبعد أن كان هادىء الطبع طويل البال أصبح ضيق الصدر وشديد العصبية ويثور وينفعل لأتفه الأسباب.

وبعد أن كان يغازلني كل يوم بأجمل كلمات الحب ويكتب الشعر في حبي أصبح صوته يعلو عليّ بكلمات قاسية.. ويسبني بألفاظ بشعة، بل لقد رفع يده على لأول مرة في حياته خلال الفترة الأخيرة عدة مرات.

كما أنه أهمل مظهره وملابسه وصحته بالرغم من أنه يعاني من ألم في الكلى وصداع دائم في الرأس..

فظللت الكآبة والحزن حياتنا التي كانت مليئة بالحب والضحك والبهجة.. ولم يعد زوجي يهتم بتلبية مطالب البيت.. أو يترك لي نقوداً كافية، وأصبحت بالنسبة له كقطعة الأثاث التي بلا مشاعر ولا أحاسيس.

وجف نبع حنان زوجي وحبه لي مع أنني في أشد الحاجة إليهما لأنني وحيدة في الحياة ورحلت أمي عن الدنيا من زمن بعيد، وغادر أبي البلاد وسافر بعيدا وتزوج في غربته، ولم يعد أمامي سوى الصبر على زوجي والأمل في عودته للاهتمام بزوجته وبيته.. فهل تكتب له كلمة تناشده فيها أن يرجع إلى ما كان عليه.. وتقول له إن زوجته وأطفاله الثلاثة في أشد الحاجة إليه وأن ما يحتاجونه لابد أن تكون له الأولوية لديه عن أي شيء آخر مهما كانت الواجبات والمسؤوليات الأخرى.إنني أدعو الله كل يوم أن يخفف عنه ويرده إلينا وأتساءل في حسرة أين أيام المرح والغزل والعشرة الطيبة.. وهل سترجع مرة أخرى؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

نعم سترجع بإذن الله.. ولكن بعد أن تقوم الأيام بدورها المقدور في مداواة الجراح.. وتهدئة الأحزان، فكل شيء في الحياة يولد صغيراً ثم يكبر إلا الأحزان فإنها تولد كبيرة ثم تضمحل تدريجياً حتى تهدأ وتتحول إلى شجن رقيق لا يحول بين صاحبه وبين ابتهاجه بالحياة... وليس من صحة النفس والوجدان أن يبتر الإنسان هذه الدورة الطبيعية أو يتعجل انقضاء مراحلها قبل الأوان،

وإنما عليه أن يرعى حزنه في صمت وصبر حتى يستوفي دورته محتسبا أسباب أحزانه عند ربه وداعياً إياه أن يخفف عنه ما يضيق به صدره.

أما نبع الحنان الذي جف في قلب زوجك.. فإن ماء النبع قد يغيض إذا شحت موارده الطبيعية.. لكنه قد يفيض كذلك من جديد كسابق عهده أو أغزر إذا تلقى شحنة إضافية من مصادره الجوفية. ومهمتك الآن يا سيدتي هي أن تعيني ماء هذا النبع على التدفق من جديد بصبرك على أحزان زوجك وتعاطفك معه.. وتسامحك مع ما طرأ على روحه وشخصيته من تغيرات جوهرية صنعتها هذه الأحزان المتتالية خلال فترة قصيرة من الزمن. إذ يبدو لي أنك قد تعجلت قبل الأوان عودة زوجك إلى طبيعته المرحة السابقة معك، وتفرغه الكامل لأسرته وأطفاله.. ومداعباته الماضية وغزله الرقيق لك كل يوم، وانحيت عليه باللائمة لانصرافه عنك وعن أسرته إلى الانشغال بشئون عائلته ومسؤولياته الأدبية والمادية الجديدة في وقت مبكر بالنسبة لمثل هذا الحساب والعتاب، ففتح ذلك باب الجدال والشقاق بينكما وفوجئت أنت بردود فعله الانفعالية والعصبية لمثل هذا اللوم الذي يبدو له كنوع من عدم التقدير لظروفه الجديدة من جانبك، أو كنوع من الأنانية الشخصية في ظروف تتطلب منك بعض الصبر وبعض التضحية.. وغاب عنك في شدة تلهفك إلى استعادة الأيام السعيدة الخالية مع زوجك وغزله الشعري والنثرى لك كل يوم، أن التعاسة كما يمكن أن تقرب بين الناس حين يتعاطفون مع من يعانيها.. فإنها أيضاً يمكن أن تفرق بينهم إذا استشعر المهمومون قلة صبر المقربين منهم على همومهم، أو عدم احترامهم لأحزانهم.

والأحزان الكبيرة تورث صاحبها فتور الروح تجاه ما كانت تبتهج له قبل أن تداهمه عاصفة الهموم، وتورثه قلة الصبر على الجدال والخلاف والمضايقات، وتكسبه ضيق الصدر والحدة والانفعالية الشديدة.. ولهذا فإن أفضل ما تتعاملين به مع زوجك الآن هو الصبر على ما أعتور روحه من فتور تجاه الأشياء.. والتسامح مع عصبيته وانفعاليته الطارئة التي لا تعبر عن شخصيته الحقيقية بدليل سجله السابق معك طوال سنوات الزواج، وتجنب الجدال والشقاق معه، وتأجيل المطالب والمحاسبة واللوم إلى أن تهدأ فورة أحزانه.. ويتقبل واقعه الجديد ويتألف معه، ومحاولة إشعاره بالتضحية ببعض اعتباراتك الشخصية مراعاة لأحزانه ومسؤولياته وهمه الذي يفعل الكثير بروح الإنسان وليس بجسمه فقط.. حتى قال عنه المتنبي في أشعاره:

الهم يخترم الجسم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقال عنه الإنجليز في أمثالهم إنه الشيء الوحيد الذي يقتل القطة التي اشتهرت عند العامة بأن لها سبع أرواح.

ولهذا فإن المحزون يحتاج إلى التعاطف والتسامح معه والصبر عليه أكثر مما يحتاج إلى كل ذلك خالي البال، وليس إلى التشاحن معه والشقاق والمحاسبة والعتاب، أما أيام السعادة والمرح وكلمات الغزل الرقيقة فلسوف تعود مرة أخرى

إلى حياتك، وبقدر ما تصبرين على زوجك حتى يتجاوز هذه الفترة العصيبة من حياته، فالقلب الطروب لا يفقد ابتهاجه بالحياة إلى غير رجعة إذا اعتصرته بعض آلام الحياة.. وإنما يخلص الحزن لما يستحق منه الحزن لـه.. ثم يستعيد عافيتـه مـن جديد وإقباله على الحياة بعد فترة ملائمـة مـن الوقت، و، يخلص الابتهاج أيضاً بما يدعو إلى البهجة والاحتفاء به من أسباب الحياة.

فاصبري يـا سـيدتي وانتظـري

فـإن قضـى اليـوم ومـا قبلـه فإن الغد الحي.. صباح الحياة!

كما يقول أبو القاسم الشابي.. وشكراً

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرداء الأبيض!

أنا فتاة في العشرين من عمري أكتب لك هذه الرسالة نيابة عن سيدة أعتبرها مثل أمي، وأعرف أن كلماتك ستكون البلسم الشافي لها بإذن الله. أما هذه السيدة فهي مثل كثيرات غيرها من الأمهات الطيبات.. غير أنها تختلف عن كثيرات منهن في أنها تعيش مع رجل لو قلت عنه إنه قاسي القلب لظلمته.. لأنه بلا قلب من الأصل، ولأنها زوجته وأم أبنائه فقد اختصها بالقدر الأكبر من هذه القسوة وتحملت هي صابرة حياتها معه لكي ترحم أبناءها وتحميهم من غوائل الحياة.

ومنذ فترة ليست طوية مرضت ابنتها الكبرى التي تبلغ من العمر 23 عاماً، وكان مرضها بالقلب يتطلب الراحة والرحمة والهدوء.. لكنه بسبب إهمال علاجها ساءت الحالة فنتج عنه تضخم القلب والرئة وارتشاح في الرئة والساق والكلى.

وقد تحملت هذه الفتاة مرضها بصبر عجيب وتحملت تحذيرات الأطباء الباردة لها من أنها لا تستطيع الزواج، ولو تزوجت فلن تستطيع الإنجاب لسوء حالتها، وكان خطيبها هو الشيء الوحيد الذي يخفف عنها وقع هذه الكلمات القاسية على فتاة في مقتبل العمر تحلم بارتداء ثوب الزفاف كغيرها من الفتيات. وبدأت الفتاة رحلتها القاسية مع المرض وتمكن منها الداء حتى أصبحت كالهيكل العظمي وأصبحت تقضي معظم أيامها في المستشفيات ومن حولها أمها وإخوتها وخطيبها الإنسان بكل معنى الكلمة.

أما أبوها فلم تهتز له شعرة لمرضها ومعاناتها ولم يذهب معها إلى المستشفى مرة واحدة، وكلما رجته أمها وهى خائفة أن يذهب للمستشفى لرؤية ابنته وجبر خاطرها ولو أمام خطيبها.. أجابها بأنها تدعي المرض.. وأنه لا وقت لديه لمثل هذا الدلع!

وحين كان المرض يشتد عليها وهي في البيت كانت آهاتها تمزق قلوب الجيران فيأتون إلى الشقة ويتعاونون على حملها من الدور السادس إلى الدور الأرضي لكي تذهب للمستشفى، أما والدها فيظل جالساً في الشرفة يدخن السجائر ويقرأ الجريدة في هدوء فإذا جاءت إليه زوجته ترجوه باكية أن ينقلهم إلى المستشفى بسيارة الأجرة التي يملكها.. هز رأسه بالرفض وواصل القراءة والتدخين في سلام ويبحث الجيران عن سيارة تنقل الفتاة للمستشفى ويأتي خطيبها مهرولاً إلى المستشفى ويقف إلى جوارها إلى أن يخفف الله عنها بعض آلامها.

وكانت هذه الفتاة تحتاج إلى ست أنابيب للأكسوجين يومياً لكي تستطيع التنفس والبقاء على قيد الحياة، وكانت أمها ينخلع قلبها خوفاً من أن تفرغ الأنابيب قبل أن يتوافر لها غيرها، وكم من مرة طلبت من زوجها أن يدفع ثمن أنبوبة واحدة للأكسوجين لكي تتنفس ابنته فكان يرفض ذلك بكل قسوة، فينفق خطيبها جزاه الله كل خير على علاجها وعلى شراء أنابيب الأكسوجين، بجانب ما تنفقه الفتاة نفسها من مرتبها البسيط وتتحمل آلامها في صبر ورضا وتصلي وهي نائمة

وتستمع دائما إلى شرائط القرآن الكريم وتدعو ربها في كل حين: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي».

وكان جميع من حولها من الأم والإخوة والخطيب والجيران الطيبين يزورونها في المستشفى ويرثون لحالها ويعلمون أن أيامها في هذه الدنيا القاسية قليلة ما عدا الأب الذي زارها ذات مرة زيارة قصيرة وهي في أسوأ فتراتها، فرجته ابنته وهي تبكي أن يبقى إلى جوارها حتى ينفذ فيها سهم القضاء لأنها كما قالت له مستعطفة «تموت»، فإذا به يجيبها ببرود بأن من يموت بالفعل لا يعرف أنه يموت ولا يقول إنه يحتضر كما تقول هي، وبالتالي فإن هذا كله «تمثيل»، ودلع بنات لا وقت لديه لتحمله، ثم انصرف عنها بلا وداع، وقرب الفجر استنجدت به أمها لكي يأتي ويعيد ابنته إلى بيتها لكي تحتضر هناك في سلام فرفض النزول من البيت والاستجابة للرجاء، ولم يمض وقت طويل حتى كانت روح هذه الفتاة الطيبة قد صعدت إلى السماء، وكان آخر ما طلبته من أمها هو أن تتصدق بمرتبها عن الشهر الأخير من حياتها القصيرة.. وبما تبرع لها به الجيران الطيبون للإسهام في علاجها على الفقراء ترحماً عليها!

وكان آخر ما قالته لأمها الحزينة هو أنها لن تسامح أباها أبداً على ما فعله بها، ولا على عدم تحمله نفقات علاجها وتركها للغريب.. أي لخطيبها لكي يتحمل نفقات العلاج دونه كما لن تسامحه أبداً على رفضه البقاء إلى جوارها في ساعاتها الأخيرة ورفض الاستجابة لنداء أمها له أن يأتي إلى المستشفى ليصطحبها إلى البيت لتقضي به ما بقى لها من عمر.

اما آخر كلماتها الحسيرة الأخرى فهي أنها كانت تتمنى ككل فتاة في مثل عمرها أن ترتدي ثوب الزفاف الأبيض، وتسعد بحياتها مع من أحبها وأحبته.. لكن إرادة الله قد شاءت لها أن ترتدي بدلا منه رداء الرحيل الأبيض.. وهذه هي إرادة الله ولا راد لقضائه ولا معقب على حكمه وهو الرحمن الرحيم.

ورحلت هذه الفتاة الطيبة عن الدنيا في هدوء وبكتها أمها وإخوتها وجيرانها الطيبيون وخطيبها الإنسان.

وفي مجلس العزاء في بيتها كانت الأم والإخوة والخطيب والجيران هم الذين يتقبلون العزاء فيها أما الأب الذي لا أجد له وصفاً فقد كان جالسا أمام التليفزيون يتابع المسلسل اليومي ويدخن في هدوء غريب!

ولم يكتف هذا الرجل بالإساءة لابنته الراحلة وهي على قيد الحياة.. وإنما أساء إليها أيضا وهي في رحاب الله.. فقد جاء خطيبها لزيارة والدتها وإخوتها بعد العزاء فإذا بهذا الأب القاسي يقابله بجفاء ويطلب منه عدم العودة إلى هذا البيت مرة أخرى ويسأله: لماذا تجيء الآن وقد ماتت من كنت تأتي لرؤيتها؟

ولقد كنا نظن أن رحيل ابنته عن الحياة سوف يغير من بعض طباعه القاسية، ويدفعه لأن يرعى الله في أمها وإخوتها من بعدها، فلم يتغير من طبعه شيء وهو الآن يواصل قسوته على أخيها المريض بالسكر ويرفض الإنفاق على علاجه

الـذي إن لم يأخذه في موعده جاءتـه غيبوبة المرض، ويواصـل أيضـا بـلا رحمـة قسـوته على أمهـا فيسبها ويضربها.. وهي التي لا تجف دموعها على ابنتها.. ومازالت لا تصـدق أنـها قد رحلت عنـها فتنهض من نومها مفزوعة وهي تنادي على ابنتها عسى أن تجيبها مـن عـالم الغيب والشهادة. لقد كتبت لـك قصـة هـذه السيدة المعذبـة لكي توجه إليهـا كلمـة عـزاء في ابنتهـا وتخفف عنهـا بكلماتك الحانية بعض أحزانـها.. كما كتبتها لك أيضا عسى أن تستطيع مساعدتها في زيارة بيت الله الحرام لعلها تجد هناك ما يدخل السكينة إلى قلبها، ويعيد إليها بعض الطمأنينة، لأنها حتى إذا استطاعت تـدبير نفقات العمـرة مـن أهـل الخير المحيطين بهـا ويعرفـون مأساتها فـإن هـذا الرجل الظالم لن يسمح لها بالسفر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يا إلهى.. أإلى هذا الحد قد تنزع الرحمة أحياناً من بعض القلوب؟

إن القتلة والسفاحين قد ترق قلوبهم في بعض الأحيان، وتتحرك إشفاقاً على بعض البشر. فكيف خلت نفس هذا لـرجـل مـن كـل لمسة شفقة رحمة بابنته الطيبة هذه؟

ومن أي نوع من الأحجار الصلدة قّد قلبه فخلا من كل عطف على ابنته وزوجته وأبنائه؟

لقد قلت ذات مرة إن من الآباء من لا يستحقون لقب الأب الجليل الذي يعني في جوهره العطف والعطاء والرحمة والمسؤولية، لكني لم أتصور حين كتبت ذلك أن يكون على سطح الأرض أب تحتضر ابنته العروس وترجوه البقاء إلى جوارها في لحظاتها الأخيرة أو إعادتها إلى بيتها لتقضـي مـا بقـى لـهـا مـن سـاعات فيه، فيصـم أذنيـه عـن نـدائها ولا تتفجر في قلبه - ولو كان من صخر - ينابيع الرحمة والعطف على هذه الابنة المعذبة، ففي أي زمـن نـعـيش يـا ربي وإلى أيـن ينتهـى بنـا المصير؟ وماذا سيقول هذا الأب لخالقه حين يسأله عن وديعته الغالية التي استودعه إياهـا؟ كيـف لم يترفـق بـهـا وهـي هديـة السـماء إليـه؟ وكيف لم يرحم ضعفها وعـذابها حين كانت في أشد الحاجة إليه؟ وكيف تخلى عن مسؤوليته عنها ورفض الإنفاق على علاجها وترك هذه المسؤولية الإنسانية لخطيبها الشهم وجيرانـها الطيبين؟ لقـد وأدهـا هـذاالرجل الفظ بقسوته وغلظته وجمود مشاعره فبأي جواب سوف خالقه يوم يكون الحساب (إذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت).

لقد كان ألم النفس أقسى عليها من آلام الجسد.

وكانت مرارة خزلان أبيها لها وتخليـه عـن علاجها ورفضه الوقوف بجوارها حتى في لحظاتها الأخيرة أشـد بطشاً بجسمها النحيـل مـن علـة القلب وآلامها.

فبأي حق ينجو مثل هذا الرجل من عقاب القتل المعنوي لابنته في الأرض قبل أن يلقى قصاصه العادل عنه في السماء؟

وكيف يقف القانون عاجزا عن محاسبة مثل هذا الرجل عن جريمة القتل المعنوي هذه؟

وألا من مخرج لدى فقهاء القانون لمحاسبة مثل هذا الرجل عما صنع بابنته؟ وعما يفعل الآن بابنه المريض بالسكر وزوجته المكلومة وأبنائه الحائرين؟

إن هناك أشخاصاً يكفي مجرد وجودهم في الحياة لكي تتخفف الدنيا من بعض قبحها وقسوتها وعنائها وهناك أشخاص آخرون يكفي مجرد وجودهم في الحياة لكي تزداد مساحات العناء والظلم والقسوة فيها.

وهذا الرجل من هذا الصنف الأخير، ولابد من وسيلة مشروعة لمحاسبته عما جناه على ابنته ولرده عما يفعل الآن بابنه المريض وزوجته المفجوعة في ابنتها الراحلة.

أفتوني أيها الملأ من رجال القانون عما يمكن فعله مع هذا الرجل وإرغامه به على الرفض بزوجته وابنه المريض والتكفير عن جنايته على ابنته

لقد كان الفقيه شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف باسم ابن قيم الجوزية يقول في معرض الحديث عن قسوة القلوب: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله ويقول: خلقت النار لإذابة القلوب القاسية ويقول: أبعد القلوب من الله القلب القاسي، ويقول: إذا قسا القلب قحطت العين، أي جفت من ماء الدمع. وكل ذلك ينطبق على هذا الرجل الذي أكبح جماح قلمي بصعوبة شديدة لكيلا يصفه بما يستحقه من صفات.. فمن عجب، بعد كل ذلك أن يكون كما تقولين في رسالتك ممن يقرأون الجريدة ويعرفون خط الأحرف.

فلا أفادته القراءة ولا رققت حاشيته خطوب الحياة، فبأي حق يسعى أمثاله في الحياة ويزيدون من مساحة القبح والعناء فيها؟

ولمن سوف يرق قلبه إذا لم يكن قد رق لابنته الشابة وهي تتسمع أنغام الرحيل أو لابنه الذي يعاني مرض السكر شفاه الله منه أو لزوجته الحزينة على ابنتها الراحلة؟

لقد اعتدت أن أناشد الأزواج والزوجات أن يترفقوا بشركاء الحياة لكني لا أشعر بأي رغبة في أن أناشد هذا الرجل في شيء - أو أوجه إليه أي كلمة وبدلاً من ذلك فإني - ولعلها المرة الأولى التي أفعل فيها ذلك - أقسم بالله العلي القدير الذي لا إله سواه أنني سوف ألاحق هذا الرجل بكل الوسائل القانونية المتاحة إن لم يترفق بزوجته ويسمح لها بأداء العمرة على نفقة بريد الأهرام مع مراعاة حقه عليها كزوج في أن يصحبها إلى هذه العمرة إذا شاء إكراماً لها وليس له، وتيسيراً عليها وليس عليه وكذلك إن لم يتحمل مسؤوليته عن علاج ابنه أو يسمح لبريد الأهرام بتنظيم علاجه ورعايته إلى أن يكتب الله له الشفاء بإذن الله.

فانتظرى مني أيتها الآنسة الطيبة كاتبـة هذه الرسالة اتصالا قريبا لأدعوك إلى زيارتي مع هذه السيدة المكلومة راجياً أن تصطحب معها تقارير ابنها الطبيـة لترتيب مسألة علاجه وأوراقها الشخصية اللازمة لاستصدار جواز سفر لها والله المستعان على كل أمر عسير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قتل الفرحة!

أنا شاب نشأت في أسرة مكافحة بين إخوة كثيرين.. وبفضل من الله وبجهد أبي المكافح - أطال الله عمره - وجهدنا أنهينا كلنا تعليمنا الجامعي وخرجنا إلى الحياة نواصل رحلة الكفاح الشاقة فيها، وعقب تخرجي في كليتي ارتبطت بخطبة ابنة أحد أقاربي الميسورين نسبياً بالمقارنة بحالنا واتفقنا على الشبكة، وجاهدت أنا في الحياة لتوفير قيمتها وتوفير المسكن الملائم في حدود إمكاناتي البسيطة، وبعد عمل متصل ليل نهار لعدة سنوات في أكثر من مكان وفي كل ما يخطر لك على بال، استطعت الحصول على شقة صغيرة من حجرتين وصالة في حي شعبي في أطراف المدينة، كما استطعت أيضا شراء الشبكة وتقديمها لخطيبتي، وشراء الأثاث المناسب في حدود قدرتي، وكنت كلما وفقني الله - سبحانه وتعالى - إلى تحقيق شيء من ذلك، وهو بالنسبة لى من المعجزات، كنت أتوجه إلى بيت خطيبتي سعيداً مبتهجاً لأزف إليها وإلى والدها الخبر لكي يشاركاني الفرحة بما وفقني الله إليه بالرغم من تعثر ظروفي، فكنت أفاجأ في كل مرة بما يقتل الفرحة في داخلي ويشعرني بالعجز والإحباط، فالشبكة بالرغم من الاتفاق على قيمتها يقال لي عنها أهذه هي الشبكة التي نتيه فخرا بها؟ والشقة التي كافحت كفاح الأبطال للحصول عليها: يقال لي عند رؤيتها: أهذه هي الشقة التي ملأت الدنيا حديثاً عنها! إنها ضيقة وفي حي شعبي غير لائق.

وهكذا في كل شيء فعلته.. أو قدمته.. وبدلاً من أن تشاركني خطيبتي ووالدها فرحتي بنجاحي في أن أتلقى التهنئة والتشجيع مضطراً للاعتذار عنه وعن ضيق الإمكانات وأشعر بالبؤس والاختناق.

ثم اقترب موعد الزفاف المتفق عليه، فإذ بوالد خطيبتي يفاجئني بقراره بتأجيل الزفاف 4 سنوات كاملة حتى تنتهي خطيبتي من دراستها. مع أن دراستها نظرية ولا تتطلب التفرغ التام، وحتى - وهو الأهم أستطيع التخلص من الشقة التي قمت بتأثيثها وتوفير شقة أخرى أوسع وفي حي أفضل، وتغيير الأثاث الذي اشتريته بالعرق والكفاح والحرمان وشراء أثاث آخر أرقى، وأسقط في يدي وشعرت بأن الفرحة قد ماتت نهائيا في قلبي، وأنني مهما فعلت فلن أستطيع أبداً أن أنال الرضا والقبول من خطيبتي ووالدها، وعقد الحزن لساني ورجعت إلى بيتي مهموماً، ورويت لأبي ما حدث، فارتسم الحزن العميق على وجهه وتندت عيناه بالدمع المؤلم وقال لى إنه آسف أشد الأسف لأنه لم يستطع مساعدتي في الزواج، وأنه لو كان يملك أن يبيع إحدى كليتيه أو كلتيهما، لكي يساعدني بقيمتيهما ويخفف عني هذا الإحساس المؤلم بالعجز والفقر لما تردد في ذلك لحظة واحدة فانهمرت دموعي، ليس حزناً على خطيبتي وإنما عطفاً على أبي الطيب المكافح الذي حرم نفسه من كل شيء ليوفر لي ولإخوتي الطعام والمأوى والتعليم، وأدى رسالته معنا على خير وجه، ونهضت إليه فقبلت رأسه ويديه وانحنيت على قدمه لأقبلها فمنعني بالقوة، وقلت له إنه أعظم أب في الوجود وإنني فخور بأنني ابنه وبأنه أبي، وأن المشكلة ليست فيه ولا في ظروفنا

لأننا أفضل حالا من كثيرين غيرنا، لكن المشكلة في الطرف الآخر الذي لم يقدر لي كفاحي واستقامتي وحرصي على ألا أقترب من الحرام.

وفي هذه اللحظة عزمت على فسخ خطبتي وتركت خطيبتي لمن يملك أن يحقق لها ولوالدها ما يطمحان إليه، واحتسبت عند ربي قيمة الشبكة والهدايا التي قدمتها لخطيبتي ورفض والدها إعادتها لي بحجة أنني التارك وليست ابنته، مع أنه هو الذي اضطرني اضطراراً إلى تركها لعجزي عن تحقيق مطالبها ومطالبه، وواصلت طريقي في الحياة وواصلت العمل ليل نهار، وبدأت أكون من جديد بعض المدخرات الصغيرة وبعد فترة من الزمن تعرفت على رجل فاضل ليس من أقاربي لكننا تقاربنا سريعا، ولاحظت أن ظروفه العائلية والمادية أفضل كثيراً من ظروفنا ومن ظروف قريبي الذي أشعرني بالإحباط القاتل، وعرفت أن له ابنة في سن الزواج ففكرت في التقدم إليها لكني ترددت في ذلك خوفاً من مواجهة الرفض والاعتذار لضعف قدراتي، ثم تشجعت ذات يوم وصارحته برغبتي وأسباب ترددي، فإذا بالبشر يعلو ملامح الرجل وإذا به يرحب بي بحرارة ويقول لي إنه قد بدأ حياته الزوجية بالاقتراض والسلف وعانى الحرمان سنوات طويلة حتى أفاء الله عليه بالرزق الحلال، وأنه يرحب بأن يعطي ابنته لشاب مستقيم ومتدين وقادر على الكفاح لكي يعرف لابنته قدرها ويقدر لها كفاحها معه وصبرها على ظروفه في البداية، وهي ظروف مألوفة لدى كل شاب في بداية حياته، وانتهى اللقاء بالقبول ورأيت ابنته فإذا بها أجمل من فتاتي السابقة وأكثر تعليماً ونسخة أخرى من أبيها في السماحة والرضا والقناعة، وتمت الخطبة فشهدت قبلها وبعدها صورة مختلفة تماما لكل ما آلمني في تجربتي السابقة، فالشبكة التي أحضرتها وكانت أقل في قيمتها من شبكة خطيبتي السابقة بدت في نظر خطيبتي الجديدة ووالدها ووالدتها وكأنها من الجواهر الثمينة، وراحوا يتناقلونها في أيديهم ويبدون إعجابهم بها ويشكروننني عليها حتى طفر الدمع من عيني، وكل هدية أقدمها لخطيبتي أرى لها في وجهها شهقة كشهقة الفرحة الطاغية، وكذلك من والدتها ووالدها وكأنني قد صنعت المعجزات، أما الشقة التي لامني عليها قريبي وابنته، والأثاث الذي وضعته فيها فقد كان موضع ثناء خطيبتي ووالدها بالرغم من شعوري بالحرج لعدم تناسبها مع بيت خطيبتي، وبالرغم من ذلك فلقد أقسمت لخطيبتي ووالدها بأنني سوف أشق الصخر لكي أستطيع استبدال هذه الشقة والحصول على شقة أوسع وفي مكان أفضل في أقرب فرصة، ولم يعلق والد خطيبتي على هذا الوعد سوى بترديده للآية الكريمة: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» وقبل موعد الزفاف فوجئت بوالد خطيبتي وبغير أية إشارة منه إلى نيته يهديني صالوناً فاخراً توارى إلى جانبه الصالون الذي اشتريته، وتم الزفاف وسط فرحة الجميع.. وكشفت لي الأيام التالية عن معدن زوجتي وأصلها، فإذا بي أجد إلى جواري إنسانة طيبة راضية النفس تقدر لي كل شيء أفعله وتشعرني بأن قامتي تطاول السماء، وأنها فخورة بي وبكفاحي في الحياة، وبالرغم من رضاها فإني لم أنس وعدي لها، وقد وفقني الله- سبحانه وتعالى - في الاتفاق على شقة من 4 غرف في مشروع جديد، دفعت مقدم ثمنها بعد سنة واحدة من الزواج، وأدفع الآن أقساطها بانتظام وسوف

نتسلمها بعد عامين بإذن الله، وبشرني والد زوجتي بأنه سوف يهدي سكني الجديد - إن شاء الله - غرفة نوم للأطفال، بعد أن رزقنا الله بطفل جميل، وحملت زوجتي في مولودنا الثاني ولقد كتبت لك رسالتي هذه لأناشد الآباء والفتيات ألا يحبطوا الشباب الراغب في الزواج وألا يشعروهم بالعجز والمهانة بسبب ضعف إمكاناتهم، ولكي أناشد الشباب أيضاً ألا يستسلموا لهذا الإحساس المؤلم بالعجز إذا واجهوا موقفاً مماثلاً لما واجهته، وأن يؤمنوا بأنه إذا ظلمهم بعض البشر في الدنيا، فلسوف ينصفهم آخرون غيرهم ولن تغفل عنهم عدالة السماء أبدا بإذن الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

الرضا لمن يرضى يا صديقي والسخط لمن يسخط، هذا هو ما تقوله لنا رسالتك وما ينبغي لنا أن نستخلصه منها، فالإنسان إنما يستمد الجزء الأعظم من سعادته مما يسميه الكاتب الأمريكي وليم شيرر «حياته الداخلية» وليس من حياته الخارجية أو من مؤثرات الواقع الخارجي. ومن المؤكد أن المرء لا يسعد بالجماد المحيط به وإنما بالإنسان الذي يتبادل معه العطف والحب والاهتمام والحنان، ولهذا فكم شقى بشر تهيأت لهم كل مقومات الحياة الخارجية الملائمة، ولم تتوافر لهم في الوقت نفسه أسباب السعادة الداخلية، وهي في كلمة مختصرة الرضا والاستعداد النفسي للابتهاج بالحياة، والميل لإنصاف الآخرين وتقدير عطائهم والاعتراف لهم بالجدارة والاستحقاق، ومنذ قديم الزمان قال الإمام الفقيه ابن القيم الجوزيه: إن الرضا هو سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

ولقد شاءت لك أقدارك أن تتعامل مع نموذجين مختلفين من البشر أحدهما يفتقد الرضا ويبخل على الشريك بالتقدير الذي يستحقه العطاء والتشجيع النفسي الذي يحفز الهمم ويدفع إلى تقديم المزيد من وثانيهما يتمتع بالقدرة على الرضا والابتهاج بالأشياء مهما كانت متواضعة، ويشعر الشريك بقيمة ما يقدمه إليه واعتزازه بكفاحه في الحياة وعطائه له، ويسخو عليه بالعطف الإنساني الذي يعوضه عن مرارة الكفاح ويجدد لديه الرغبة في مواصلته لتحقيق الأهداف، ولهذا فلقد كان منطقياً أن تفشل تجربتك مع النموذج الأول، وأن تنجح التجربة وتؤتي ثمارها مع المثال الآخر ولقد سئل خبير أمريكي في الاستشارات الأسرية عن أهم أسباب انهيار الحياة الزوجية في الوقت الحالي فأجاب بعبارة مختصرة: إن هذه الأسباب كثيرة ومتعددة لكن أكثرها تدميراً للعلاقة الزوجية هو: افتقاد أحد الطرفين للتقدير الذي يستحقه من جانب شريك الحياة! ولم يكن الخبير مبالغاً فيما قال، فافتقاد التقدير هو الصخرة التي تتحطم عليها معظم العلاقات الزوجية، والعلاقات الإنسانية بوجه عام، والميل للانتقاص من أقدار الآخرين ومن قيمة عطائهم وجهدهم، وعدم التجاور معهم في مشاعرهم واعتزازهم بما حققوا

لأنفسهم وأسرهم من إنجازات، هو الترجمة الأمينة لشكوى الكثيرين من افتقادهم التقدير الذي يرون أنفسهم جديرين به من جانب شركاء الحياة، وخطورة هذه الآفة هي أنها قد تمهد الأرض لدى أحد طرفي العلاقة الزوجية للترحيب بما يفتقده في حياته الشخصية من التقدير، إذا تلقاه من طرف خارجي ويعمق لديه ذلك الإحساس بالغبن وبالمفارقة المؤلمة بين ما يشكو منه من ميل شريك حياته للانتقاص من جهده وعطائه وقتل الفرحة داخله بكل ما يحققه من أهداف وإنجازات، وبين ما يجده من إنصاف الآخرين لعطائه وجهده فتكون النتيجة في بعض الأحيان هي أن يتعمق لديه الإحساس بالغبن في علاقته بشريكه، وأن يزداد استعداده للضعف والتجاوب مع من يشعره بجدارته واستحاقه ومميزاته.

فالحمد لله الذي أنقذك من مكابدة هذا الإحساس المرير بالعجز عن إرضاء شريكة الحياة مهما فعلت أو حققت من أهداف طوال رحلة العمر، وشكرا للأقدار الرحيمة التي شاءت لك أن تجمع بينك وبين من ينصفونك ويشعرونك بالجدارة والاستحقاق، وبأنك تحقق لهم المعجزات بجهادك وكفاحك الشريف في الحياة، وأرجو أن يستوعب الآباء والفتيات والشباب مغزى رسالتك هذه وأن يستفيدوا بها في حياتهم وتجاربهم الشخصية مع الآخرين ومع أنفسهم.. والسلام

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوصية!

أنا سيدة في السادسة والثلاثين من عمري.. تزوجت قريباً لي وأنجبت منه طفلين.. وعشت حياتي معه راضية سعيدة، وبعد زواجي تعرفت بابنة الجيران المتزوجة في حي آخر وترجع لزيارة أهلها من حين لآخر، وجمعت الصداقة بيننا، فتقاربنا وأصبحت الزوجة صديقة حميمة لي وأصبح زوجها صديقا مقربا لزوجي، وتبادلنا الزيارات العائلية وازدادت أواصر الصلة بيننا بعد التحاق زوج صديقتي بنفس العمل الذي يعمل به زوجي، فأصبحا يقضيان معاً أوقاتًا طويلة في العمل وفي البيت عندنا أو عند هذه الأسرة، كما أصبح زوج صديقتي يثق في نصائح زوجي ويعمل بها، وبعد سنوات قرر زوج صديقتي السفر للعمل بإحدى الدول العربية لتحسين مستواه المعيشي، وأوصى زوجي برعاية زوجته وولديه في غيبته، وعمل زوجي بالوصية، فأصبح يتردد على بيت صديقه كثيرا ويرعى شئون أولاده ويلبي مطالبهم.. وبدأت أنا أشعر بالقلق لقيامه بهذه الزيارات وحده دون اصطحابي معه كما تقضي بذلك الأصول، وعاتبت صديقتي على تقبلها هذا الوضع الذي لا يرضي أحداً ثم ازداد قلقي حين لاحظت على زوجي أن حياته قد انقلبت رأساً على عقب، وأنه قد أصبح إنساناً آخر معي على الرغم من أنني لا أقصر معه في واجباتي الزوجية.. وسكن الشك في أعماقي.. وتضاعف كثيراً حين أدركت بعد فوات الأوان أن زوجي وهذه الصديقة كانا قبل زواجها متحابين ولم يكتب لهما التوفيق في الزواج، فتزوجت من الآخر وتزوج هو بعد سنوات أخرى مذي وواجهته بما علمت وبما يفعل فأنكر كل شيء، وحاول إقناعي بأنه لا يفعل إلا ما أوصاه به صديقه من رعاية أسرته في غيابه.

ولم يسترح قلبي لما يقول وطالبته بالانقطاع عن زيارة هذه السيدة وأن يدع أمر رعاية شئونها لأهلها. كما ساءت علاقتي بها وتوقفت عن زيارتها واستقبالها في بيتي. وأصبحت أعد الأيام والساعات على عودة زوجها من الخارج واستقراره مع أسرته، لكي أنقذ أسرتي من الضياع، وتحققت الأمنية بالفعل وعاد الزوج من الخارج عودة نهائية، لكنه لم يكد يستقر في بيته وأسرته عدة أيام، حتى فوجىء بزوجته تطلب منه الطلاق وتتمسك به بإصرار، وحاول الرجل مراراً أن يعرف سبباً لذلك دون جدوى، ولجأ إلى صديقه المخلص فإذا به ينصحه بأن يطلقها مادامت هذه هي رغبتها، واقتنع الرجل برأي صديقه وطلق زوجته وفوجىء أهلها الذين يقيمون في الجوار بعودة ابنتهم إليهم مطلقة بلا أسباب واضحة.

وأصبحت الصديقة الحميمة أمام زوجي ليل نهار في مسكن الجيران، وما إن انتهت عدتها حتى تزوجت من زوجي سرا، ووقعت قسيمة زواجهما في يدي بالمصادفة البحتة ووجدت عنواني فيها مخالفا للحقيقة لكيلا يتم إعلاني بهذا الزواج.

والآن يا سيدي فلقد تزوجت صديقتي الحميمة بصديق زوجها المخلص بمال الزوج الذي جمعه بالشقاء في غربته، ورضيت أنا بأقداري من أجل أبنائي.. ولو كنت أستطيع شيئاً آخر لفعلته لكن مصلحة أبنائي فوق كرامتي وفوق كل

شيء، ولقد أهملنا زوجي وأصبح مقصرا معي ومع أبنائي، ولست أكتب إليك لكي تناشده أن يطلق هذه السيدة ويرجع إلى أبنائه لأنه لن يفعل ذلك للأسف، وإنما لكي تناشده العدل معي ومع أبنائي، وأيضا لكي تحذر الزوجات والأزواج ممن يرتدون مسوح الأصدقاء وهم ليسوا كذلك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لو أننا اهتدينا بهدى ديننا وعملنا في حياتنا الخاصة بأحكامه ونواهيه لخلت الحياة من كثير من الآثام والشرور، ومن ذلك على سبيل المثال أن هذه الوصية التي أوصى بها زوج الصديقة السابق زوجك، وصية باطلة من الأصل ومخالفة لأحكام الدين، ولهذا فقد فتحت الباب على مصراعيه للخيانة والغدر بالزوج الغائب، إذ ما معنى أن يوصي زوج رجلاً أجنبياً على زوجته بأن يرعاها في غيابه مهما كانت درجة صداقته به وثقته فيه، وللزوجة أهل يستطيعون رعايتها وأطفالها في غياب زوجها، ويمكنهم إذا رغبوا في المساعدة أن يلجأوا لمثل هذا الصديق لإعانتهم على ما يستعصي عليهم من أمور، وما معنى أن يستبيح هذا الصديق المخلص التردد مراراً وتكراراً على زوجة رجل آخر في غيبة زوجها بغير أن يصطحب معه زوجته في كل زيارة أو يكلفها دونه بالقيام بما يريد القيام به تجاه زوجة صديقه؟ ثم ماذا كان ينتظر ذلك الزوج السابق من زوجته وصديقه وقد مهد لهما الأرض بغفلته وثقته غير المبررة في هذا الصديق لإحياء الحب القديم؟ والتخطيط لاستكمال القصة الناقصة ولماذا لم تنتبهي أنت يا سيدتي من البداية إلى أن لهذه الصداقة العائلية خلفيات قديمة قد تنذر بتجدد الحب بين زوجك وصديقتك في أية لحظة؟ فتضعي لهذه الصداقة حدودا لا تتجاوزها أو تبتريها من الأصل وقد بدا واضحاً منذ البداية أن وراءها ما وراءها من نذر وغيوم.

لقد كان الحكيم الإغريقي إيسوب يقول: فكر قبل أن تثق!

ونحن نثق في بعض الأحيان قبل أن نفكر ونتدبر ونمتحن جدارة الآخرين بثقتنا فيهم.

ولقد خان زوجك ثقة زوج الصديقة وثقتك فيه وخانت تلك الزوجة ثقة زوجها وثقتك أنت كذلك فيها، ومن المؤسف حقا أن يدفع أربعة أطفال فضلاً عنك وعن زوج الصديقة السابق ثمن رغبة عاشقين في استكمال قصتهما على حساب سعادة غيرهما وأمانهم واستقرارهم.

فليهنأ كل خائن بما فعل.. وليوطن نفسه من الآن على أن يدفع ضريبته العادلة ذات يوم قريب أو بعيد، لأن الحياة ديون لا مفر لأحد من سدادها. وكما ظلمنا نحن الآخرين فلسوف يظلمنا ذات يوم من لا قبل لنا بهم.. فيكون ظلمهم لنا قصاص السماء منا.

أما زوجك الذي لا يعدل بينك وبين غرامه القديم ويقصر في حقوق أبنائه فليس عندي ما أقوله عنه سوى أن من يفعل بصديقه الحميم ما فعل، لا يتوقع منه أن تؤثر فيه كلماتي أو تعيده إلى جادة العدل والإنصاف، فاستعيني عليه بأهله وأهلك واحتمي بأبنائك والتمسي فيهم العزاء والسلوى عما تعرضت له مادمت عاجزة عن أي خيار آخر، وليفعل الله بك وبأبنائك ما فيه خيركم جميعا إن شاء الله والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهمس المسموم!

أنا سيدة قاربت الستين من عمري، وفي مركز عملي وعلمي جيد، ودخلي يجعلني - والحمد لله - أعطي ولا آخذ، وقد رحل زوجي عن الحياة وأنا في الأربعين من عمري وفي قمة شبابي، وترك لي ثلاثة أطفال بنتين وولدا، وبعد وفاة زوجي كرست حياتي لأبنائي وعشت لهم وبهم، ولم أشعر لحظة واحدة بغياب الأب عن حياتهم، ولم أعرضهم في يوم من الأيام لأي لوم أو تأنيب من شخص قريب منا أو بعيد عنا، حتى جدهم لأبيهم وعمهم وخالهم لم يعلموا ذات يوم شيئاً عن مشاكلنا، ووفرت لأبنائي كل متطلباتهم من أساسيات الحياة إلى الترفيه والنزهات إلى الدروس الخصوصية التي كنت أنقلهم إليها بسيارتي، وأظل في الشارع إلى أن ينتهوا، إلى كل شيء. وكانت لطلباتهم دائماً الأولوية القصوى عندي، فتفوقوا في دراستهم جميعاً وتخرجوا في كليات القمة وأشاد الجميع بتربيتهم وأخلاقهم، وتزوجت الابنتان وسعدت بزواجهما وأصبح زوجاهما ابنين جديدين لي، أما الابن الوحيد فلقد عمل براتب محترم وبدأ يتعجل الزواج، فرفضت نصيحة الأهل والأقارب لي بأن أعمل على أن يتزوج معي في مسكني الواسع، حتى لا أعيش وحيدة في نهاية الرحلة وبعد كل هذا العطاء لأبنائي، لكنني آثرت أن أدعه يحيا حياته الخاصة بغير إلزام له بشيء، واشتريت له شقة مجاورة لمسكن أختيه لكي تستمر علاقة المودة والرحمة بينهم، ثم تعرف ابني بفتاة في مجال عمله ورغب في الارتباط بها وتمت الخطبة، فلاحظت أنها ومنذ البداية بعيدة عني وعن شقيقتي خطيبها وليس بينها وبيننا سوى الاتصالات التليفونية المتباعدة، فحذرت ابني من ذلك وأكدت له أنه ابني وزوجي وشقيق شقيقتيه ووالدهما من بعد أبيه، وإن هذا البعد والتجافي منذ البداية لا يبشر بأنه سيستمر في أداء دوره الإنساني تجاهي وتجاه شقيقتيه، لكنه راح يؤكد لي أن فتاته سوف تتغير بعد الزواج وستصبح أكثر حميمية معي ومع أختيه، وكان يبكي بالدموع لكي ألبي لها طلباتها المغالى فيها، وكلما رفضت إعطاءه المزيد من النقود للاستجابة لطلباتها ضغط عليّ بالبكاء أو استعان عليّ بشقيقتيه لكي أعطيه ما يرضيه، وهكذا فقد قمت بتشطيب الشقة له تشطيباً فاخراً وأدخلت إليها التليفون ودفعت المهر والشبكة وقيمة الأجهزة الكهربائية، وتم الزواج بسلام، فما إن بدأ حياته الزوجية مع فتاته حتى منعته هي حتى من الاتصال التليفوني بي وبشقيقتيه، وزرناه أنا وابنتاي في مسكن الزوجية فغضبت زوجته وثارت وبكت بغير سبب سوى الغيرة الجنونية لكيلا نرجع لزياتها مرة أخرى، والآن يا سيدي أصبح ابني الوحيد الذي رجوت أن يؤنس وحدتي في نهاية الرحلة.. ويعوضني عما تحملته من عناء في تربية أبنائي ومواجهة الحياة، لا يزورني إلا إذا توسلت إليه بالتليفون مرة كل شهر أو شهرين ولا يجيئني إذا جاء إلا مع زوجته وفي العاشرة مساء لكي يقضيا معي نصف ساعة فقط لا تزيد ثم ينصرفان وأرجع أنا إلى وحدتي، وإذا طلبت منه أن يطمئن عليّ تليفونياً مرة واحدة كل يوم اعتذر بعمله ومشاغله، مع أني أعرف جيداً أنه يزور أقارب زوجته وأمها ويقوم بتوصيلهم إلى أي مكان يريدونه ويلبي أي طلب يطلب منه حتى من صديقات والدة زوجته، أما أنا فلا

يزورني إلا بالطلب الشديد والإلحاح ولا يأتيني إلا مع زوجته.. ولابد في كل مرة من أن تفسر زوجته أي تصرف أو إشارة من جانبي على أنها ضدها.. وأجد ابني بعد ذلك غاضباً مني ولا يحضر لزيارتي ولا أراه.

لقد مضى عام على زواج ابني أنجب خلاله طفلاً.. وقد قاطعني وقاطع شقيقتيه وكلما ناقشته في أسباب عدم زيارته لي أو لشقيقتيه يقول إن السبب في ذلك هو أننا لا نزوره في بيته، وهو يعلم جيدا أننا لا نزوره في منزله لأن زوجته كانت تفتعل في كل مرة زرناه فيها سبباً للغضب ونحن في ضيافتها.. فكيف نرجع لزيارته في بيته؟

إنني أقسم لك يا سيدي أنني لم أسىء لزوجة ابني، لكنها من النوع الغيور غيرة جنونية ومدللة وعصبية للغاية، ولديها حب شديد للتملك.

فهل يرضيك بعد ذلك أن ينقطع عني ابني وعن شقيقتيه لمثل هذه الأسباب المفتعلة؟

وهل يرضيك أن أتصل به على التليفون الذي أدخلته إلى منزله وفي مسكنه الذي اشتريته له فلا يرد هو أو زوجته على التليفون، ويدعان آلة الرد المسجل لترد على اتصالاتي وهما في المسكن ولا يقومان برفع سماعة التليفون والرد على اتصالي؟!

لقد حرصت منذ بداية خطبته لفتاته على أن أدع له حرية التصرف ورفضت التدخل في المشاكل التي ثارت بينه وبينها حول تفاصيل الزواج لكيلا يقول أحد أنه ابن أمه، أو أنه لا يتصرف من وحي نفسه.. وتحملت عنه كل تكاليف الزواج الذي لم يسهم هو فيه بأي شيء، فهل تكون القطيعة والجفاء هما مكافأتي من ابني الوحيد بعد كل هذا العطاء ..

إنني أتردد في أن أبوح لك بما بت أعتقده وأنا السيدة التي تشغل مركزاً علمياً جيداً، وهو أن ابني هذا «مسحور» ومسلوب الإرادة، فهل تعتقد في السحر والشعوذة؟

لقد شكوته لجميع أصدقائه ونصحوه، وشكوته لرئيسه في العمل فلامه كثيراً ثم كففت عن الشكوى لكيلا أفسد عليه علاقاته وعمله لكني حائرة في أمره فهل من كلمة توجهها إليه تنبهه بها إلى واجبه تجاه أمه وشقيقتيه؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

حين يصل الحال بسيدة تشغل مركزاً علمياً مرموقاً إلى الاعتقاد بأن ابنها الوحيد قد تمت السيطرة عليه بالسحر والشعوذة لكي ينصرف بكليته عن أمه وأختيه إلى زوجته وأسرتها، فإن الأمر لابد أن يدعو للتأمل والعجب، غير أنني ألتمس لك كل العذر في ذلك لأنك أم مصدومة في وفاء ابنها لها وبره بها، ولأن في فحيح

الهمس المسموم في الآذان، ما يفوق أثر السحر في تغيير النفوس وتضليل العقول، ولهذا فقد قال الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - لمن حوله ما معناه «لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر!».

والواضح يا سيدتي هو أن ابنك هذا لم يحترس في نقل ما كان يدور بينك وبينه من مناقشات واعتراضات على مطالب فتاته المغالى فيها إليها خلال فترة الخطبة، فمهد الأرض بغفلته ونقص خبرته لبذر بذور الجفاء بينك وبينها منذ البداية، وصادف ذلك لديها شخصية تقولين عنها إنها مدللة وغيور غيرة جنونية وعصبية ولديها ميل طاغ لحب التملك، فتحول الأمر لديها إلى صراع بينك وبينها على الاستحواذ على هذا الابن على طريقة المصارعة الوحشية القديمة التي كان بعض أباطرة الرومان يتلهون بها فينظمون بين السجناء مباريات للمصارعة حتى الموت لا نجاة لأحد طرفيها إلا بقتل الطرف الآخر.

وهكذا فلقد أحكمت سيطرتها عليه وتصورت كما كان يعتقد هؤلاء المصارعون القدامى أنه لا حياة لأحدهم إلا بإزاحة الطرف الآخر في الصراع من الوجود، مع أن الأمر لا يتطلب كل هذا العناء..، لأن الساحة تتسع - لدى العقلاء ومن يرعون حدود الله في حياتهم - للاهتمام بالأم والشقيقات إلى جانب الاهتمام بالزوجة والتفرغ لها.. لكن آفة النفس البشرية هي أن بعض ذوي الأثرة يعتبرون أن كل عطاء إنساني يقدمه الزوج لأمه أو إخوته لابد أن يكون خصماً من العطاء الذي ينبغي لهم أن ينفردوا به وحدهم، وهي أنانية بغيضة وقصر في النظر واعتماد كاعتماد الغافلين على أسباب القوة المؤقتة في أيديهم، إذ ما أطول ساعات اليوم لكي تتسع لأن يقوم شاب كابنك بواجباته الإنسانية التي لا تكلفه شيئاً تجاه أمه وشقيقتيه.. ويتفرغ إلى جانب ذلك لزوجته وأسرتها والاندماج في عالمها إذ ماذا يكلفه أن يصل أمه وأختيه ولو بالاتصال التليفوني من حين لآخر؟ وما ضره - سامحه الله - لو أجاب اتصالات أمه التليفونية التي لا يكلف نفسه عناء الرد وأجاب لهفتها الحسيرة عليه؟

وماذا يضيره لو أنه أشعر أمه وشقيقتيه بوجوده في الحياة وهن من كن يرجون أن يكون لهن السند والعماد؟

وكيف يستقيم ضميره إلى هذا التقصير الإنساني الفاضح في واجباته تجاههن وقد كان يستطيع حتى لو عجز عن تحسين علاقة زوجته بأمه وشقيقتيه، أن يفصل بين علاقته وعلاقة زوجته بهن، فينهض بواجباته الإنسانية تجاه ذويه، ويترك العلاقة بينهن وبين زوجته لتفاعلاتها الطبيعية ولدروس الأيام وخبرتها الثمينة بغير أن يسمع لطرف عن الآخر أو يتأثر به ضده.

إن من الأفضل دائماً أن تكون العلاقة بين الطرفين طبيعية، ومن واجب الزوجة التي تعرف ربها وتخشى عقابه، أن تعمل من جانبها على تحسين علاقة زوجها بأمه وإخوته، وأن تحثه على أداء واجباته الإنسانية تجاههم إذا لمست منه تقصيراً في ذلك، ليس فقط عملاً بهدي دينها وتعاليمه الأخلاقية، وإنما دفاع كذلك

عن نفسها ضد غوائل الأيام، وطلب للسلامة في النهايات، كما كان الحال في البدايات، إذ كيف تطمئن زوجة عاقلة إلى زوج لم يرع حدود ربه في علاقته بأمه وإخوته. وكيف تأمن لمن لا يخشى وعيد ربه، لمن يعق أمه أو يقطع رحمه، وتركن إليه مطمئنة إلى أنه سوف يرعى معها إلى النهاية ما لم يرعه من حدود ربه مع أمه؟

إنه دفاع عن النفس كما هو امتثال للتعاليم الدينية، فالرحمة لا تتجزأ وكذلك الأخلاق والوفاء والعدل الإنساني وما أشبه الزوجة التي تسعد بانتصارها المرحلي على الأم في معركة الاستحواذ على زوجها بمن يسعد بنجاحه في تدريب شريك حياته على الغدر والجحود والجرأة على قطع الرحم، فلا يلبث بعد حين أن يكتوي بثمار غرسه. ويجد نفسه يتعامل مع من لا رادع له من ضمير ولا دين يردعه عن الغدر به أو الاجتراء على حرماته.. فهل هذا هو ما تريده مثل هذه الزوجة الشابة لنفسها؟! وهل هذا الابن سعيد بضعفه وعجزه عن تحقيق التوازن المطلوب بين زوجته وأمه وشقيقتيه؟! وهل هو في حاجة لمن يذكره بحقوق أمه عليه.. إذا افتقد المذكر من شريكة حياته؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غرباء في الليل!

أنا موظف بدرجة مدير عام، أبلغ من العمر 54 عاما، وقد تزوجت منذ ربع قرن زواجاً تقليدياً من إحدى قريباتي، وأحببت زوجتي حباً عميقاً جارفاً كما بادلتني هي حباً بحب، ورزقنا الله بابنتين جميلتين، ثم سنحت لي فرصة السفر للخارج، فسافرت للعمل بإحدى الدول وضحت زوجتي بعملها وتفرغت لرعاية البنتين والبيت، وكنت أرجع إلى أسرتي لمدة شهر كل ستة أشهر، فأقضي أيامي مع زوجتي وأسرتي في سعادة وانسجام إلى أن مضت عشر سنوات كاملة من الغربة ورجعت للاستقرار في بلدي، ورزقنا الله بالمولود الثالث وكان ولدا واكتملت به سعادتنا، وتخرجت الابنة الكبرى، وتمت خطبتها وأوشكت الثانية على التخرج، أما الابن الأصغر فقد بلغ نهاية المرحلة الابتدائية، وبعد عودتي من العمل في الخارج كنت أسحب من مدخراتي لتغطية نفقات الأسرة التي تتزايد عاماً بعد عام، ونفقات التعليم والدروس الخصوصية إلخ، حتى نفذت كل مدخراتي بعد 14 عاماً من العودة وفقدت السيارة التي كنت أمتلكها ولم أستطع شراء غيرها، ولم أعد أملك سوى راتبي الحكومي وهو يكفي بالكاد لمواجهة الضروريات. لكنه ببركة من الله نظهر أمام الجيران والأهل بمظهر راق ومستوى جيد والحمد لله.

والمشكلة يا سيدى هو أن زوجتى بعد العشرة التي دامت بيننا 25 عاماً، وبعد أن كبرت الابنتان وقل دخلي وفقدنا السيارة التي كانت الأسرة تعتبرها الواجهة الاجتماعية الملائمة لنا، بدأت زوجتي وبناتي يبتعدن عني، وراحت زوجتي تسمم أفكار البنتين ضدي حتى استطاعت أن تجعل منهما حزبا ضدي، بعد أن صورت لهما أنني قيد على حريتهما وسعادتهما، ولقد حدثت زوجتي كثيراً عن أن ذلك ليس في صالح الأسرة فلم تستجب لي، وأصبحت لا تهتم بمظهرها في البيت وتهمل شئونه، كما بدأت تتعمد التهرب مني كزوجة، إلى أن هجرت منذ 6 أشهر غرفة نومنا ولجأت إلى حجرة البنتين، وكلما عاتبتها على ذلك قالت لي إنها تقترب من الخمسين، ولم يعد لها «خلق» على شيء بل ونصحتني بالزواج من أخرى، وهي تعلم جيدا أن إمكاناتي لا تسمح لي بذلك.. فهل كل امرأة تبلغ الخمسين تصبح فاقدة للحياة على هذا النحو؟

لقد أصبحنا الآن نعيش في بيت واحد كالغرباء في الليل والنهار، لا نتبادل الحديث إلا في أضيق الحدود وللضرورة القصوى، وانعدمت بيننا المودة والرحمة، وكلما ضقت بأمري تساءلت: هل كانت تفعل ما تفعل الآن أو تقول ما تقوله لو كان عندي المال الوفير كما كنت في الماضي؟

إنني أعيش في حرمان عاطفي وأخشى الوقوع فيما يغضب الله ولو بالنظرة الحرام في هذه السن، وقد عصمني الله بعد الزواج فإذا كانت لي أخطاء قبله فإني أدعو الله دائما أن يغفرها لي بعد أن ندمت عليها.. وزوجتي بتصرفاتها هذه تدفعني دفعاً إلى أحد أمرين: إما الوقوع في الخطأ.. أو الزواج من أخرى، وحولي في العمل ومن المعارف من فاتهن قطار الزواج أو من طلقن أو ترملن ويقبلن

بمثلي، لكن أسرتي سوف تتحطم في هذه الحالة، وقد يؤثر ذلك على إتمام زواج ابنتي الكبرى، وابتعاد الخطاب عن أختها مع أن الجميع يعتبرونها أسرة مثالية، ولست أريد أن أدمر هذه الصورة الجميلة ولا أن أؤثر على معنويات الابن الأصغر، لهذا فإني أرجو أن تقدم النصيحة لزوجتي وهي من المعجبين ببابك وتقرأه بانتظام، وأن تؤكد لها أنه إذا كان قلبي قد تغير بعض الشيء تجاهها بسبب تصرفاتها معي، فإنني لم أكرهها ومازال يراودني الأمل في إصلاحها وعودة المياه إلى مجاريها بيننا، لأنه ليس هناك أب يتمنى التعاسة لأبنائه وأحبائه.. وشكرا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

إذا لم تكن هناك أسباب أخرى لا أعرفها لهذا النفور الذي تبديه زوجتك تجاهك الآن، فإني أقول لها إنها تأثم بذلك أشد الإثم، وإنك لو أصبت إثماً نتيجة لهذا النفور، غير المبرر وهذا الحرمان كان عليها بعض وزره.

فأما مسألة «فقد الحياة» عند سن الخمسين أو بعدها بالنسبة للمرأة فلا أساس لها من الصحة، والمرأة الحقيقية كما تقول العبارة الأمريكية الشهيرة، لا يتقدم بها العمر أبدا ولا تفقد رغبتها في الحياة ذات يوم، فإذا كان ثمة نفور قد حل بينكما فلعله من أثر بعض التراكمات القديمة التي تختزنها الزوجة خلال رحلة السنين، وتعبر عنها لا إرادياً حين تجد في نفسها القدرة على الصمود والمواجهة.. ولعله أيضاً من أثر ما يسميه البعض بالكسل المعنوي، الذي يفقد معه البعض الرغبة في استمرار بذل الجهد للارتقاء بالنفس والحفاظ على الحيوية ورعاية حقوق الآخرين، وهو كسل قد تعانيه الزوجة فلا تدفعه عن نفسها بقوة الإرادة والإحساس الداخلي بالشباب مهما بلغت من العمر، وإنما تستسلم للخمول والجمود وفقد الحماس للاحتفاظ بالرونق القديم.. والإقبال على الأشياء، وقد يصاب به الزوج كذلك فيكف عن الاهتمام بمظهره والعناية باختيار كلماته وإشاراته وعن بذل الجهد لاجتذاب الطرف الآخر إليه، كما قد يصاب به الإنسان أيضا حتى في علاقاته الاجتماعية الأخرى فيتهرب به من أداء الواجبات.. ويضن بالجهد اللازم للحفاظ على حرارة العلاقات الإنسانية مع الآخرين، ولعل هذا الفتور قبل ذلك وبعده من أثر أزمة منتصف العمر لدى المرأة وما تستتبعها من بعض المشاكل البيولوجية التي يمكن تفادي آثارها بسهولة ويسر باستشارة الطبيب المختص.

وفي كل الأحوال فليس من صالح الوئام العائلي واستقرار الأبناء وسعادتهم أن يحل الفتور والجفاء الصامت بين الزوجين، ولا هو من صالح الأسرة أن يجيش أحد الأبوين بعض الأبناء ضد الطرف الآخر ولا أن تنقسم الأسرة إلى معسكرين يقود كل منهما طرفاً من طرفي العلاقة الزوجية، ويحشد لنفسه فيه الأنصار والمؤيدين، فالأسرة ليست ميداناً للصراع واستقطاب الأبناء ضد أحد الأبوين،

وإنما هي أرض التواد والتراحم والتعاون المشترك على رعاية الأبناء وحمايتهم من الأنواء، كما أن نقص الإمكانات المادية لا يمكن أن يخصم أبداً من جدارة الزوج بحب زوجته وأبنائه مادام لا يبخل عليهم بما ملكت يداه، ولا يقصر في بذل الجهد لرعايتهم وتحمل مسؤولياتهم والحدب عليهم، والكفاح بإخلاص في الحياة من أجلهم.

فعلاقة الزوج والأب بزوجته وأبنائه ليست علاقة استثمارية تزدهر. كلما زاد الدخل والعائد.. وتتراجع أو تنكمش كلما انحسرت الأرباح وقلت المكاسب، فإذا كانت زوجتك تعرض عليك الزواج من أخرى حلاً لمشكلتها تلك، فلعلها تعرف عن نفسها أنها أول من ستشقى بهذا الاقتراح إذا تحقق، وأن أبناءها هم أول من سيدفعون ثمنه بالسلب من استقرارهم وأمانهم إذا دخل ذات يوم حيز التنفيذ، بل إنها لم تطرح هذا الاقتراح من الأصل إلا لتأكدها من استحالة تنفيذه.

فلتفض إذن عن نفسها هذا الكسل المعنوي ولتحاول أن تبذل بعض الجهد لإعادة الجو الأسري الدافىء إلى حياتها وحياة أبنائها ولتبذل أنت أيضا بعض الجهد في تنبيه مشاعرها واجتذابها إليك وتذكيرها بحبك وإخلاصك لها، وإصرارك على تجديد الروابط العاطفية معها.

ولنأمل خيراً في حكمتها وأمومتها وقيمها الدينية كزوجة في أن تتجاوز سريعاً هذه المرحلة، وتنفض عنها غبار الاستسلام لفكرة السن التي لا أساس لها من الحقيقة.. وتتفتح للحياة من جديد وشكراً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روح المغامرة!

أنا سيدة في السابعة والثلاثين من عمري أعمل بالتربية والتعليم ومتزوجة منذ عشر سنوات، ورزقني الله بطفلة في التاسعة وولد في السادسة من عمره. ولقد تزوجت عن حب وتفاهم وزوجي رجل طيب القلب، وكريم مع أسرتي ولا يقصر أبداً في توفير احتياجاتنا. غير أن مشكلتي تتمثل في شخص واحد هو والده، فهو رجل غريب يكره البشر ويطلق على كل إنسان يتعامل معه اسم نوع من أنواع الحيوانات، كما أنه يصبغ شعره ويعتقد أنه مازال في ريعان شبابه، وقد تزوج ست مرات حتى الآن ويحاول بكل جهده أن يدمر استقرار حياتي مع زوجي، بالرغم من أنني لم أسيء إليه في شيء وأعامله دائما بود واحترام، ولقد دخل المستشفى منذ فترة فتودد خلال وجوده فيه إلى ممرضة وحاول إقناعها بخطبتها إلى ابنه أي لزوجي بزعم أنه أعزب وليس متزوجاً، وعلمت بذلك فتوجهت إليها وقدمت إليها نفسي وأولادي وتعجبت من أنني جميلة وأنيقة ودائمة الابتسام ولا يوجد مايدعو زوجي للزواج عليّ، ولا ما يدعو والده لإغرائها بالارتباط بابنه وقطعت علاقتها به واعتذرت لي وشعرت بالراحة لانتهاء هذه الأزمة التي كادت تعصف ببيتي، لكني لم أهنأ بالراحة كثيراً إذ لم يطل الوقت ثم بدأ صهري من جديد محاولة أخرى، فقدم زوجي إلى شقيقة زوجته السادسة، وكانت زوجته في ذلك الوقت تكثر من زيارتها لأنها في حالة خصام معه فراح يصطحبه معه في زياراته لزوجته وشقيقتها ويبذل كل جهده للتقريب بينه وبين الشقيقة. وأحسست بالخطر الداهم مرة أخرى وتساءلت في حيرتي وضيقي: لماذا لا يريد صهري لي أن أهنأ بالراحة والاستقرار في حياتي الزوجية؟ وفاض بي الكيل فواجهت زوجي بما علمت وأنكر أنه كان يعتزم الزواج من هذه السيدة، وأقسم أنها لم تكن سوى نزوة عابرة هيأها له والده ولسوف ينهيها على الفور ويتفرغ لبيته وأولاده والمشكلة هي أنني قد أصبحت أعيش الآن في جحيم دائم من الغيرة والشك والخوف على زوجي من أبيه وإغراءاته له، ولقد حاولت مراراً أن أجعل منه شخصية مستقلة عن أبيه بلا جدوى، وأسأله دائماً ماذا ينقصني لكي ينظر إلى غيري من النساء وأنا جميلة وحريصة على زوجي وأولادي وربة بيت ممتازة فيعتذر لي ويعدني بالإخلاص لي في معظم الأحيان، وفي أحيان أخرى يغيظني بقوله إنه لابد له أن يتزوج مرة أخرى بالرغم من أنه لا يشكو شيئاً مني لأن من شابه أباه فما ظلم!

والآن فإن زوجي يا سيدي يريد أن يتركني ويسافر إلى أمريكا لكي يجرب حظه هناك، بالرغم من أنه ميسور الحال ويشغل وظيفة محترمة وله رصيد في البنك ولديه بيت يجري تأسيسه، وليس هناك ما يدعوه للسفر والبعد عن أسرته، وأنا أخاف ربي وأخشى على نفسي في غيابه وأخشى أكثر من الفراغ الذي سيتركه سفره الطويل وطول غيابه عني وعن أبنائه، فأرجو أن تناشده أن يبقى معنا ويشكر الله على ما هو فيه من نعم كثيرة، لأننا راضون بما أعطانا الله كما أنني لا أستطيع تحمل أعباء تربية الأبناء وحدي، وأرجو أيضاً أن تناشده أن يتقي الله في

زوجته وأبنائه وأن يحسن معاملتي ويحرص عليّ كما أحرص عليه، كما أرجوك رجاء حاراً أن تناشد والد زوجي أن يدعنا أنا وزوجي لشأننا لكي تستمر الحياة الزوجية بيننا ونربي أبناءنا بين أبويهما في بيت هادئ مستقر، وأن يتقي الله في هذه المرحلة من عمره ويتقرب إليه بالعمل الصالح بدلاً من أن يتدخل في خصوصياتنا بهذه الطريقة المؤلمة، لكي أشعر بالأمان والاستقرار في حياتي وشكراً لك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

زوجك يا سيدتي يحاول تكرار «مثال» أبيه في عشق الحياة وروح المغامرة ومحاولة اعتصار ثمرة المتعة حتى آخر قطرة فيها، ووالده يكرر بدوره مثال عاشق الحياة زوربا في رواية «كازنتراكس» الشهيرة حيث كان يرى أن غاية الدنيا هي العشق والمتعة بكل أنواعها ومن كل سبلها بلا تحفظ!

وما أكثر أشباه مثل هذه الشخصية «التلذذية» التي تطلب كل ما يحقق لها المتعة بغض النظر عن المسموح والممنوع منها، وبغير توقف أمام ما يدفعه الغير من ضرائب غالية لذلك، وما أقل إدراكهم لمسؤولياتهم الأخلاقية والإنسانية تجاه ذويهم وتجاه الحياة بوجه عام.

وأمثال هؤلاء إذا تزوجوا، فإنهم يتعاملون مع الزواج غالباً كمتعة مشروعة أو عشق مقنن لمفاتن الأنثى، وهو مفهوم أبيقورى آخر لا يصمد طويلاً للزمن ولا يحقق غاية الزواج الأسمى الذي يراه الفضلاء على حد تعبير الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله - إقامة بيت على السكينة والأداب الاجتماعية في إطار من الإيمان بالله والعيش وفقا لهديه وتعاليمه أو ذلك المفهوم الرشيد الذي يترجمه عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا في دعائهم في محكم آيات الذكر الحكيم:

«رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا»

والزواج بهذا المفهوم الرشيد هو استقرار للعين على ما تشارك صاحبها رحلة الحياة، وعلى أبنائه منه، والسعادة بهم وتكريس الحياة لهم.

أما العين المتنقلة الذواقة فهي عين خؤون تجر صاحبها دائماً إلى الاضطراب والضياع والمشاكل، ومن عجب أن يكون الأب الذي يفترض فيه أن يحمي أبناءه من تكرار أخطائه وعثراته الشخصية في الحياة هو الذي يغري الابن بالسير في نفس الطريق الذي سلكه من قبل وخبر دروبه ودفع أبناؤه ثمنه غالياً من استقرارهم وأمانهم في الحياة، ومن عجب أن يستجيب الابن لنداء السير في هذا الطريق وقد خبر هو نفسه ضريبته الباهظة على حياته العائلية ونشأته المضطربة، وتمزقه السابق بين أبويه، فكأنما لم يستفد أحد بتجربته.. ولم يتعلم أحد شيئاً من أخطاء الرحلة.

غير أنني أتصور أن زوجك يا سيدتي بالرغم من كل الظواهر البادية لن يكرر مثال أبيه في الحياة لسبب جوهري هو أنه قد تجرع هو شخصياً مرارة الإحساس بافتقاد الاستقرار العائلي - وانشغال الأب بزيجاته المتكررة، وغياب دور الأب الصالح في حياته، ومن الآباء من يحرصون على أن يجنبوا أبناءهم أشواك الطريق التي كابدوها هم شخصياً من قبل، وأحسب أنه واحد من هؤلاء الآباء بالرغم من تردده بين الضعف والاستجابة لإغراء الأب وبين عاطفته تجاه زوجته وأبنائه ورغبته في حمايتهم من الضياع.

فهو يتراوح بين الاستجابة لرغبة الأب في أن يكرر صورته في الحياة، ومحاولة تقمص روح المغامرة التي حكمت حياة أبيه، والعطف على أبنائه وزوجته والخوف عليهم من أن يدفعوا ما دفعه هو ووالدته من ضريبة ظالمة لمغامرات أبيه وزيجاته المتكررة.

ولهذا فهو لا يمضي في الشوط حتى آخره، وإنما يستعيد رشده بعد حين ويعتزم الإخلاص لزوجته وأبنائه، إلى أن يهيئ له الأب مغامرة جديدة فينساق وراءه لبعض الوقت.

ونصيحتي له لكي يعفي نفسه من هذا التمزق بين الرغبة في أن يتقمص شخصية أبيه وتكرار مثاله في الحياة، والرغبة في العيش في أمان مع زوجته وأبنائه، هي أن يثق تماماً بأنه إنسان مختلف عن أبيه له شخصيته المستقلة وسماته الخاصة التي تميزه عنه، كما أنصحه أيضاً بأن يتمثل مشاعره تجاه أبيه وهو طفل صغير أو صبي بريء حين كانت تشتد عليه معاناته من التمزق العائلي وإحساسه بالنبذ والإهمال من جانب الأب المشغول بنفسه ومتعته، وأن يتنبه جيدا إلى أن نفس هذه المشاعر السلبية المتضاربة سوف ينطوي له عليها أطفاله حين يحاول تكرار مثال أبيه في الحياة، فهل يحب لنفسه أن يحمل له أبناؤه ذات يوم ما كان يحس به هو نفسه من مشاعر سلبية تجاه أبيه..!

إن رغبته في السفر لأمريكا بغير حاجة ضرورية إلى ذلك ليست سوى صدى لتأثره بشخصية أبيه المغامرة، ومثل هذه الرغبة يكفي للتنازل عنها أن تعلنه زوجته بخشيتها على نفسها في غيابه، وعجزها عن تحمل مسؤولية الأبناء وحدها دونه.. أفليس هو إذن من الرجال ذوي النخوة الذين لا يحتاجون إلى التصريح اعتماداً على ما يكتفي به ذوو الألباب من تلميح!

إنني أثق بأنه واحد من هؤلاء الرجال.. لكن فساد المثال والقدوة التي يمثلها الأب في حياته، قد طمس بعض جوانب شخصيته الطيبة وأتصور أنه لن يلبث أن يستعيد نفسه ويدرك مسؤولياته تجاه زوجته وأبنائه، كما أنني أثق كذلك بأن روح المغامرة التي يحاول الآن بتأثير أبيه أن يستجيب لها ليست سمة أصيلة في شخصيته، وإنما هي عرض عابر نتيجة لمؤثرات هذا الأب ولن يستمر طويلاً.

أما والده فبالرغم من نفوري مما يمثله من قيم ومبادئ في الحياة، فإني أقول له إنه إذا كان قد فاته أن يحسن لأبنائه وهم صغار وأن يوفر لهم الاستقرار العائلي والأمان، ألا يحسن به وقد بلغ من العمر قمة النضج أن يحاول الإحسان إليهم

وهم كبار، فيحميهم من مؤثرات شخصيته التلذذية ويكف عنهم أذاه.. وإغراءاته رحمة بأحفاده.. إن لم يكن رحمة بهؤلاء الأبناء أنفسهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القيد الثقيل!

أنا رجل في الأربعين من العمر، سافرت للعمل في الخارج منذ 16 عاماً بغير أن أرتبط بفتاة للزواج، وأمضيت عامين كاملين في غربتي دون الرجوع إلى مصر، ثم رجعت في إجازة وارتبطت على عجل بفتاة من مدينة أخرى غير مدينتي، وأملت في أن ينشأ الحب بيني وبينها بعد الزواج، ورزقت بأربعة أطفال صغار.. ثم اختتمت رحلة الغربة منذ شهور بالعودة النهائية لمصر على أمل تحقيق الحلم الوردي لي ولزوجتي بالاستقرار في بلدنا وبدء مشروع تجاري بمدخرات الغربة. غير أنني لم أبدأ بعد الخطوة الأولى في هذا المشروع لأنني أعيش في مشكلات مستمرة مع زوجتى خصوصاً بعد عودتنا النهائية لمصر، وقد تسألني عن أسباب الاختلاف بيننا فأقول لك إن زوجتي كسول للغاية، وهي بالرغم من أنها خريجة جامعية إلا أنها لا تعمل بسبب الكسل، كما أنها بعد 13 عاماً من الزواج لم تفهمني حتى الآن، ولكل منا عالمه الخاص، وبالرغم من أنها محجبة وملتزمة وتعرف كل شيء عن مشكلات العالم الإسلامي إلا أنها لا تعرف كيف تصحو من نومها مبكراً لإعداد الإفطار لزوجها وأولادها.

بماذا تنصحني أن أفعل؟ هل أبدأ المشروع وأواصل هذه الحياة الزوجية ولكل طرف فيها وجهة مختلفة من أجل أربعة أطفال لا ذنب لهم فيما فعل الكبار؟! أم هل أتحرر من هذه الزوجة وأبدأ حياتي ومشروعي مع زوجة أخرى لأنني أشعر بأنني لن أنجح اقتصادياً إلا بعد التحرر منها؟ أم هل أبقى على هذه الزوجة وأترك لها الأبناء وأمضي في قطار الحياة مع زوجة أخرى وكلما وجدت فضلة من الوقت قضيته معها عقاباً لها على ما تسببت لي فيه من دمار نفسي ومادي بسبب كسلها وإسرافها وأمراضها الاجتماعية الأخرى؟

إننى أرجو أن تأخذ بيدي وتدلني على الطريق الذي أبدأ به حياة عادية لأنني في تعب شديد وأخشى على نفسي من أمراض الضيق والحزن والندم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أولم تكتشف أن زوجتك تمثل بالنسبة لك قيدا ثقيلاً لن تنجح - اقتصادياً - بغير التحرر منه إلا بعد أن أنجبت منها أربعة أطفال صغار أكبرهم لا يمكن أن يكون قد بلغ الثانية عشرة من عمره؟

ثم ما هو، العمل، الذي تطلب من زوجتك القيام به لكي تنفي عن نفسها تهمة الكسل وتثبت لك به أنها شعلة متأججة من النشاط والحيوية؟

أوليست رعاية أربعة أطفال صغار وإدارة شئون البيت والأسرة و عملاً، في حد ذاته يكفي لشغل أوقات زوجة مثلها وقد يستنزف أيضاً كل طاقتها وحيويتها؟

وهل جربت أنت أن ترعى شئون أربعة أطفال وتتحمل مسؤوليتهم النفسية والأدبية والتربوية وتدير شئون أسرة من ستة أشخاص لكي تحكم حكماً صادقاً عما إذا كان هذا العمل، لا يكفي في حد ذاته لشغل كل أوقات فراغك واستنزاف طاقتك؟.

قد يكون لك كأي زوج بعض التحفظات على زوجتك، وقد يكون لزوجتك عليك أيضا تحفظات مماثلة وربما أكثر، لكن السؤال المهم هو: هل ترقى هذه التحفظات إلى المستوى الذي يجعل استمرار الحياة الزوجية بينكما مستحيلاً.. ويجعل من التخلص من قيد هذه الحياة الزوجية الأمل الوحيد للنجاح والتقدم؟

إنني أترك لك أنت الإجابة العادلة عن هذا السؤال لأنك لم تشر في رسالتك سوى إلى كسلها عن النهوض مبكراً لإعداد طعام الإفطار لك وللأبناء، وإلى ما تسميه، إسرافها وأمراضها الاجتماعية الأخرى، مما لا يمكن الحكم بموضوعية كاملة عليه، في حين تشير على الناحية الأخرى إلى التزامها وإلمامها بكل شئون العالم الإسلامي.

فأما الكسل والإسراف فهما من الأناشيد المعتادة في كثير من البيوت الزوجية، ولو توقف أمامهما وحدهما كل زوج لخلت أعشاش كثيرة من ساكنيها، كما أنه من الإنصاف أيضاً أن أقول لك إنهما وحدهما لا يمكن الاعتماد عليهما في الحكم باستحالة الحياة بين الزوجين لأن كلاً منهما، نسبي، وليس حقيقة مطلقة، وما قد تعتبره أنت، كسلاً، قد يتجاوز عنه آخرون يلتمسون لزوجاتهم العذر فيه بإجهادهن في رعاية الأطفال وإدارة شئون البيت، وما تعتبره أنت إسرافاً، قياساً على ظروفك، قد تعتبره زوجتك، عدلاً بمقاييسها، وقد يعتبره آخرون غيرك، تقتيراً بالمقارنة بإنفاقهم وإنفاق زوجاتهم.

والكاتب الفرنسي بسكال يقول: الصحيح هنا.. خطأ وراء جبال البرنييه! إشارة إلى الجبال التي تفصل بين فرنسا وأسبانيا بمعنى أن ما قد يكون خطأ هنا قد يكون صواباً هناك، لاختلاف الظروف والقيم السائدة والتقاليد.

ولهذا كله فلست أتفق معك في أنك قد بلغت في علاقتك بزوجتك الحافة التي ليس وراءها سوى الهاوية.

وإذا كنت تقول إنك لن تنجح اقتصادياً إلا إذا تحررت من هذه الزوجة، فلعلي أقول لك إن الزواج من أخرى مع الإبقاء على زوجتك.. أو طلاقك لها للتزوج من غيرها، هما أبعد ما يكونان عن التفكير السليم في النجاح الاقتصادي أو غير الاقتصادي، بسبب بديهي هو أن هذا النجاح يتطلب الاستقرار النفسي والتوجه بكل طاقتك الذهنية للعمل والسعي لإنجاحه، وكلا الأمرين اللذين تتردد بينهما يفتح أبواب القلاقل والاضطراب والتشتت في حياتك على مصراعيها، ولسوف تجد نفسك سواء أبقيت على زوجتك وتزوجت عليها أم طلقتها وبدأت حياة جديدة مع أخرى، مستنزفاً من الناحية النفسية والعاطفية والمادية ومثقلاً بمشكلات أخرى رهيبة لن تسمح لك بالتفرغ لعملك ولا بالأمل في النجاح الاقتصادي والمالي. كما أنك فكرت في كل البدائل المتاحة لحياتك الزوجية ولم

تفكر في البديل الوحيد المنطقي في مثل ظروفك وهو أن تجاهد لإصلاح الأحوال بينك وبين زوجتك ومحاولة حثها على أن تفعل ما يرضيك ويشعرك بالسعادة، ويشعر أطفالك بالأمان والاستقرار بينكما، وفي تقديري أن أحد أسباب المشكلات الحالية بينكما الآن هو وقت الفراغ الطويل الذي أصبح متاحاً لك بعد عودتك النهائية إلى مصر، فأنت لم تبدأ حتى الآن أول خطوة على طريق مشروعك التجاري، وتشغل فراغك الطويل بدلاً من الانشغال بالمشروع بتسقط الأخطاء لزوجتك وتسجيل العيوب عليها وليس علاجها، ونصيحتي لك هي أن تقدم على الفور على إنشاء مشروعك الاقتصادي وأن تنشغل بإجراءاته وتعطي له كل جهدك وطاقتك ووقتك، فلا تجد من الفراغ ما يسمح لك بالشكوى من مثل هذه التفاهات، ولا بالانشغال بمثل هذه الأفكار الحالمة عن النجاح الذي لا يتحقق إلا بتعاسة زوجة وأم وأربعة أطفال صغار ولربما عرفت في الوقت المناسب أنك لم تكن لتنجح في مشروعك أو في حياتك العملية من الأصل، إلا لأن لك زوجة وأربعة أطفال.. قد توجهت إلى ربك بالأمل في النجاح من أجلهم ومن أجل إسعادهم.. وليس على أنقاض سعادتهم وأمانهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثمن الفادح!

قد تكون مشكلتي هذه غيرة مألوفة بالنسبة لطبيعة رسائل البريد، ولكنها موجودة على أي حال في كثير من البيوت المغلقة ولا يجرؤ أحد على المصارحة بها.

فأنا يا سيدي عضو هيئة تدريس بإحدى كليات القمة بالأقاليم، وعلى قدر كبير من التدين والتمسك بتعاليم الدين وقد شاء حظي أن أكون أكبر إخوتي وأن أكون البنت الوحيدة وسط أربعة ذكور، ولن أطيل عليك فقد أصاب العجز والشيخوخة أبي وأمي حتى صارا قعيدين لا يستطيعان أن يخدما نفسيهما.. واستقطعت جزءاً من وقتي أقضي لهما فيه مصالحهما وأعطيهما الدواء وأشتري لهما الطلبات التي يحتاجان إليها، وقد توليت هذه المسؤولية وحدي لوجودي معهما في نفس البلد، أما إخوتي الذكور فهم يقيمون في محافظات أخرى لظروف العمل.

ثم حدث أن مرض والدي مرضاً شديداً استدعى نقله للمستشفى لفترة لا يعلم نهايتها إلا الله، ونظراً لشيخوخة والدتي وعدم استطاعتها البقاء معه كمرافق في المستشفى.. توليت أنا هذه المسؤولية عن اقتناع تام بمسؤوليتي نحوه واضطرني ذلك إلى الغياب عن بيتي كثيرا ومبيتي كل ليلة في المستشفى بجواره، حتى مضت الأيام بطيئة ووالدي لا يتحسن، وإخوتي الذكور يحضرون من مدنهم زائرين أقرب منهم إلى أن يكونوا مشاركين في تحمل مسؤولية والدهم، فأثار ذلك حفيظة زوجي وبدأ شيئاً فشيئاً يتبرم من إلقاء المسؤولية كلها على عاتقي وحدي وبدأ يحدثني عن أن إخوتي يتهربون، ويتعللون بأن ظروف العمل والغربة لا تسمح لهم بأكثر من إجازة عارضة لا تزيد على يومين، ووجدتني عاجزة عن تلبية مطالب بيتي وإرضاء زوجي وخدمة والدي الذي أعجزه المرض عن الحركة فصار ثقيلاً في الوزن، ويحتاج لمن يحمله، لكي يرتدي أو يغير ملابسه أو يستحم أو لكي يجلس ليتناول طعامه وأنا على مشارف الخمسين من عمري، ولا أملك هذه القوة لكي أحمله وأنقله من مكان لآخر حتى أصابني ألم في أسفل الظهر. أبكي منه كل مساء قبل النوم، وقد أغضب ذلك زوجي وثار ثورة عارمة ضد إخوتي وطالب بأن يتناوبوا خدمة أبيهم، لأن لهم من القوة الجسمانية ما يجعلهم يتحملون مثل هذا النوع من الخدمة، فتعللوا بأنهم لا يعرفون أصول خدمة المرضى وبظروف العمل إلخ.. وبدأت زوجات الأخوة يمارسن ضغوطاً خفية لاستعادة أزواجهن سريعاً كلما حضروا لزيارة والدي، وتعقدت الأمور تماماً بيني وبين زوجي وإخوتي، إنني يا سيدي أخدم والدي بنفس راضية أملاً في ثواب الله غير أن حالته قد تدهورت إلى حد لم يعد معه يتحكم في الإخراج مما يسبب لي حرجاً شديداً كابنة له عند تنظيفه، وقد تأثرت أسرتي بسبب انشغالي عنهم بخدمة أبي وظهر أثر ذلك في نتائج امتحانات أبنائي لسوء حالة البيت ونقص الضروريات وقذارة المطبخ والحمام إلخ.. وإني أسألك يا سيدي هل خدمة الوالدين المسنين مسؤولية الإبنة وحدها لأنها أقدر على ذلك من الأبناء الرجال؟ وهل يقتصر دور الابن فقط على دفع فواتير العلاج وكتابة النعي في صفحة

الوفيات واستقبال المعزين ثم الوقوف في ساحة المحكمة لاستخراج إعلام الوراثة لينالوا ضعف نصيب الأنثى من الميراث؟

إنني مشتتة وزوجي غاضب ويطالبني بمقاطعة إخوتى، وأمي وهنت صحتها وإرادتها ولا تستطيع أن تقوم بدور إيجابي في هذه المشكلة فماذا أفعل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

من المؤلم حقاً أن يتحول الأب المسن إلى «عبء» يختلف الأبناء حول تحديد مسؤوليته.. ومن منهم يتحمله دون الآخرين أو بالمشاركة معهم، ولقد تذكرت وأنا أقرأ رسالتك هذه كلمة معبرة لجوناثان سويفت مؤلف رواية رحلات جاليفر الشهيرة يقول فيها إن «هبة العمر الطويل تشتري بثمن بالغ الفداحة».. ولقد قالها الأديب الإنجليزي متشكياً من فقد الأعزاء والأحباء وحزنه عليهم واحداً بعد الآخر خلال رحلة عمره التي بلغت 78 عاماً، فماذا كان عساه أن يقوله لو علم أن الثمن الفادح، لا يقتصر فقط على هذا الجانب العاطفي، وإنما يشمل كذلك عبء الخدمة والرعاية لمن يعجزه الكبر والمرض عن خدمة نفسه، ولمن ينطبق عليه قول الحق سبحانه وتعالى: «وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ»، وعفواً يا سيدتي لهذا الشرود عن صلب مشكلتك فلقد أثارت رسالتك تأملاتي عن أحوال البشر.. ولعلي أقول لك بعد ذلك، إن خدمة الآباء والأمهات المسنين واجب ديني وإنساني على كل أبنائهم على السواء.. كل بما يستطيعه من جهد أو رعاية أو مال، ولقد كان من المنطقي أن يقع عليك العبء الأكبر في خدمة الأب المريض والأم المسنة، ليس لأن خدمة الآباء والأمهات هي مسؤولية البنات دون البنين، وإنما لأنك الوحيدة التي تقيمين معهما في نفس المدينة وبقية الإخوة مشتتون بين البلاد، غير أن الله لا يكلف نفسا إلا سعها من ناحية أخرى، ومادمت تنوئين بهذه الخدمة وحدك وتستشعرين الحرج كابنة في بعض شئون هذه الرعاية، ويضيق زوجك بانفرادك بهذه المسؤولية دون بقية الإخوة ويتذمر، فلا مجال للمناقشة النظرية حول على من تقع مسؤولية رعاية الآباء والأمهات في الكبر، ومن واجب إخوتك في مثل هذه الحالة أن يبذلوا كل ما يستطيعون من جهد لتخفيف هذا العبء عنك وعن أسرتك، كأن يتناول كل منهم رعاية الأب لأربعة أيام مثلا كل شهر ولو اضطروا لتجميع راحاتهم الأسبوعية وتقسيم رصيد إجازاتهم السنوية على الشهور المختلفة ليستطيع كل منهم قضاء بعض الوقت مع أبيه وأمه إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولكي يتوافر لك أنت من الوقت ما تمنحينه لزوجك وبيتك وأبنائك حتى ولو تطلب الأمر الاستعانة بممرض خاص يعين الجميع على رعاية الأب المريض، والمشكلة في النهاية ليست مستعصية على الحل إذا توافرت روح التعاون والتضحية والعطاء لدى الجميع. بمن فيهم زوجك الذي ينبغي له أن يبدي قدراً أكبر من التفهم لظروفك ومسؤوليتك تجاه أبويك في هذه المرحلة من العمر، وليتذكر جيداً أنك بما تقدمين لأبيك وأمك من

عطاء وما تتحملينه من عناء من أجلهما إنما تضربين المثل لأبنائه هو في البرِ بالأب ورعاية حقوقه عليهم، وتحمل العناء من أجله.. فليكن إذن أكثر فضلاً ونبلاً من أن يحرضك على قطع صلة الرحم بينك وبين إخوتك حتى ولو تقاعسوا بعض الشيء عن مشاركتك في العبء الذي تشتكين منه، فقطع الرحم إثم فادح ولا يجوز لزوجك أن يوردك مثل هذا المورد الذي يعرضك لغضب ربك وينقص من أجرك عنده على برك بأبويك ورعايتك لهما في الكبر والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الشاب الخجول!

أكتب لك للمرة الثالثة وأرجو أن تهتم برسالتي لأنها مهمة للغاية ليس لي وإنما لابنة صديقتي العزيزة وزميلتي في العمل، فهذه الفتاة تبلغ من العمر عشرين عاماً وهي طالبة في السنة النهائية بكلية جامعية مرموقة، وفتاة جميلة للغاية ومهذبة ومتدينة وتعرف حدود ربها وقد تقدم لها شاب وسيم من أسرة محترمة عمره – 30 عاما – ويعمل عملاً مرموقا وتمت قراءة الفاتحة وشراء الشبكة ولم يتردد الخطيب الشاب كثيرا على خطيبته بعد الخطبة لأنه كما قيل لأسرة فتاته شاب خجول ومحافظ ويتحرج من التردد بكثرة على فتاته قبل القران، وهكذا فقد طلبت أسرته بعد شهر واحد من قراءة الفاتحة عقد القران لكي يتمكن الشاب الخجول من زيارة خطيبته بلا حرج، واستجابت أسرة الفتاة لهذا المطلب بلا تردد وتم عقد القران في أكبر ناد وأقيمت حفلة جميلة وسعدت الفتاة وأسرتها بارتداء الفستان الأبيض، وأقسم الشاب الخجول لفتاته أن يكرس حياته لها وألا يعرف سواها طوال العمر، وبعد شهر واحد من القران اكتشفت الفتاة وأسرتها أن الشاب الخجول المحافظ الذي كان يتحرج من زيارة خطيبته قبل عقد القران، على علاقة بسيدة مطلقة تكبره بـ 15 عاما ولها أربعة أبناء وكان هو السبب وراء طلاقها وهدم أسرتها وأنه قد تزوجها بعقد عرفي، وقد عرفت الأسرة والفتاة هذه الحقيقة المؤلمة من السيدة نفسها التي جاءت إلى بيت الأسرة وروت لها والفتاة قصتها مع هذا الشاب وكيف أنه تزوجها بمقتضى هذا العقد العرفي، أما تاريخ هذا العقد العرفي فهو للدهشة عقب عقد قرانه على هذه الفتاة الجميلة الطيبة بأسبوع واحد.

وأصيبت الأسرة والفتاة بصدمة هائلة واستدعى والد الفتاة خطيب ابنته وواجهه بما عرفه عنه، فإذا به يعترف به ببساطة ويدافع عن نفسه بأنه خطأ قد وقع فيه واستدرجته إليه هذه السيدة ولن يكرره مرة أخرى ويطلب العفو عنه.

ولدهشة الجميع، فلقد اعتبر الأب هذا الاعتراف تسليماً بالخطأ وتعهداً بإصلاحه، يفلقد تجاوز عنه قائلاً: إن الله غفور رحيم، ومؤكداً أن الشاب سوف يقطع علاقته بهذه السيدة ولن يرجع إلى الخطأ مرة أخرى وهدأت الزوبعة بعض الشيء وانتظم ومضت فترة قصيرة من الزمن فإذا بالأسرة تكتشف أن علاقته بتلك السيدة لم تنقطع يوماً واحداً وأنه قد اصطحبها في رحلة إلى بورسعيد لمدة أسبوعين وكان مصدر الخبر هو هذه السيدة نفسها، التي قالت لأسرة الفتاة إنها تحبه وهو يحبها ولا يستطيع الاستغناء عنها أبداً، وأنه لم يعقد قرانه على هذه الابنة إلا طلباً للحسب والنسب اللائقين به فقط، أما قلبه فهو لها دون غيرها وهو شديد الارتباط بها لأنه يحب السهر والفرفشة والرقص والمتعة، وهي تقدم له كل ذلك في حين أن خطيبته متدينة ومتحفظة ورفضت خلع الحجاب استجابة لطلبه وبعد أن تأكدت الأسرة من كل ذلك استدعى والد الفتاة خطيب ابنته مرة أخرى وطالبه بالحسنى بطلاق ابنته، فإذا به يرفض الطلاق ويؤكد أنه متمسك بخطيبته لأخلاقها وتدينها ولن يتنازل عنها.

وليست هذه هي المشكلة الحقيقة، التي أكتب لك عنها لأطلب مشورتك فيها وإنما المشكلة الأكبر هو أن هذه الفتاة الطيبة نفسها ترفض الطلاق هي الأخرى بالرغم من حزنها الشديد وبكائها المستمر ولسبب عجيب هو خوفها من أن تتعرض سمعتها للأذى إذا طلقت من هذا الشاب وتساؤل الناس لماذا طلقها قبل أن يدخل بها، ولهذا فهي تفضل عدم الطلاق حفاظاً على سمعتها وليس تمسكاً بهذا الشاب الذي تعرف جيداً أنه لا يصلح لها، ووالدتها تحاول إقناعها بكل السبل بأن هذا الزواج لن يعدها سوى بالعناء وأنه من الأفضل لها أن تحصل على الطلاق الآن بدلاً من أن تتزوج وتتعذب بخيانات زوجها لها وتعجز عن احتمال الحياة معه فترجع إلى أسرتها ومعها طفل وليد.

لكن الفتاة تجيب على كل هذه المحاولات وهي تبكي الدموع الغزيرة أن الطلاق هو أبغض الحلال عند الله، وأن هذا هو قدرها ونصيبها وعليها أن تتحمله راضية، لقد شاركت والدتها صديقتي محاولة إقناع هذه الفتاة الطيبة بإنهاء هذه القصة قبل أن يتفاقم الخطأ ولكن دون جدوى، فهل تشاركنا في إقناعها بما فيه خيرها ومصلحتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أن يهتم الإنسان بالحفاظ على سمعته أمر مرغوب وقد يتطلب في بعض الأحيان أن يحرم المرء نفسه من بعض ما تهفو إليه أو يتحمل راضياً بعض العناء بغير سبب سوى النأي بنفسه وسمعته عن الشبهات، أما أن يغالي الإنسان في التحسب لما قد يقوله عنه الآخرون فيقيد بذلك حريته وقدرته على الفعل الصحيح والحركة المشروعة، أو يلحق بنفسه أبلغ الضرر لغير سبب سوى المغالاة في الخوف من أذى الألسنة. فهذا أمر مختلف ولا يأمر به دين ولا شرع.

فإذا كانت هذه الفتاة الطيبة ترفض الطلاق من هذا الشاب المستهتر لغير سبب حقاً سوى خشيتها على سمعتها مما قد يصيبها من رذاذ ألسنة الآخرين فهي بلا شك مخطئة في ذلك، ومثلها في استسلامها لإتمام هذا الزواج بالرغم مما ينذرها به من شقاء وتعاسة كمثل من يرى الهاوية في نهاية الطريق الذي يسير فيه، ومع ذلك فهو يمضي إليها منوماً أو مستسلماً كأن سقوطه فيها قدر محتوم عليه ولا حيلة له فيه! غير أنني أتصور أن خشيتها على سمعتها ربما لا تكون دافعها الوحيد لرفض الطلاق من هذا الشاب، وأن هناك عاملاً آخر يتجاذبها مع عامل الخوف من كلام الآخرين هو تأثرها العاطفي وهي الفتاة الصغيرة بريئة المشاعر بهذا الشاب الوسيم المجرب.

ولهذا فقد تكون كراهيتها للطلاق ممتزجة في أعماقها بالميل العاطفي لهذا الشاب والأمل الحسير في انصلاح أحواله في المستقبل.

فإذا كان الأمر كذلك فإنها مطالبة بالصدق مع نفسها وتحديد مشاعرها بدقة تجاه هذا الشاب، كما أنها مطالبة أيضا وهو الأهم بإدراك بعض ما غاب عنها من حقائق تتعلق به، وأولاها أن جرمه الحقيقي ليس فقط في ارتباطه بسيدة تكبره بـ 15 عاماً وملاحقته لها وهي متزوجة من غيره، حتى تسبب في هدم أسرتها وتمزيق أطفالها الأربعة.. وإنما وهو الأبشع في إقدامه على الزواج العرفي منها بعد أسبوع واحد من عقد قرانه على هذه الفتاة. مما يقطع بأن هذه السيدة لم تكن نزوة عابرة في حياته ولا ماضياً انطوت صفحته وبدأ يستعد للتطهر منه، وبدأ صفحة أخرى خالية من الشوائب مع خطيبته، وإنما هي ماض وحاضر ومستقبل لا تبدو له في الأفق نهاية قريبة، وكأن كلا منهما قدر للآخر لا يستطيع الفكاك منه ولو تمرد عليه ورغب في التطهر منه في بعض الأحيان.

وما خطبته لهذه الفتاة وتعجله لعقد قرانه عليها بدعوى الخجل والتحفظ إلا محاولة يائسة منه للهروب من أقداره مع هذه السيدة التي قد يرغب بالفعل في التخلص منها لكنه يعجز عن ذلك.

وما زواجه العرفي منها بعد عقد قرانه على هذه الفتاة بأسبوع واحد إلا تسليم منه بالهزيمة والفشل في محاولته العاجزة لإنهاء قصته معها، فلقد أراد بخطبته لفتاة صغيرة السن بريئة المشاعر متدينة ومحافظة، أن يفعل ما يفعله آخرون غيره يرتبطون بسيدات يدركون في أعماقهم أنهم لا يستطيعون مواجهة المجتمع بالزواج منهن، ولا يستطيعون في نفس الوقت مغالبة تأثيرهن العاطفي والغريزي عليهم، فيواصلون علاقاتهم بهن في السر ويسعون في نفس الوقت للزواج من فتيات غيرهن يرضون عن أخلاقياتهن ودينهن على أمل أن ينجحوا في المستقبل في التخلص من علاقاتهم السرية والتطهر منها.

غير أننى لا أشعر من سياق هذه القصة أن هذا الشاب سوف يستطيع في المدى المنظور أن يغالب ارتباطه الغريزي والعاطفي بهذه السيدة، وأغلب الظن أنه سوف يظل لسنوات طويلة موزعاً بين ارتباطه بتلك السيدة التي تلبي له نداء المتعة والغريزة والعاطفة، ورغبته في التطهر من هذه العلاقة وتكوين أسرة فاضلة محترمة يواجه بها مجتمعه ولا أحد يدري من سوف تكسب هذا السباق في النهاية.. أهي هذه الفتاة العزيزة المتدينة المحافظة..؟ أم تلك المرأة المجربة الخبيرة بالرجال؟

فهل هذه الفتاة الطيبة على استعداد لتحمل هذا العذاب؟

وألا ترى نفسها تستحق أن يرتبط بها شاب مستقيم متدين يخلص لها العهد ولا يتنقل بينها وبين غيرها من النساء؟

إنها تستحق ذلك بكل تأكيد ولهذا فمن واجبها تجاه نفسها أن تستجيب لنصح الناصحين، وتكف عن مواصلة السير على الطريق المؤدي إلى الهاوية.. أما سمعتها فسوف يحفظها الله سبحانه وتعالى عليها بإذن الله.. لأن الحقيقة أوضح من أن يخطىء أحد تفسيرها ولأنه إذا كان للناس ألسنة نخشى سهامها، فلهم

أيضا عقول كثيرا ما تميز بين الحق والباطل، وترد كيد الكائدين إلى نحورهم، والله خير حافظا، والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القارب الفارغ!

أكتب رسالتي هذه تعليقاً على رسالة والنظرة العميقة، للسيدة الشابة التي رحل زوجها عن الحياة بعد عام واحد من الزواج، وكتبت إليك تبثك أحزانها وبداية فإني أقول لك إنني سيدة في التاسعة والعشرين من عمري، تزوجت فور تخرجي في الجامعة وتفرغت لحياتي الزوجية وكان زواجنا مضرب الأمثال في نجاحه وتفاهم طرفيه وحب كل منا للآخر، وبالرغم من أننا لم نرزق أطفالاً فقد كان ذلك سبا لاقترابنا وليس العكس، وبعد 5 سنوات من الزواج مضت كالحلم الجميل رحل زوجي فجأة عن الدنيا بلا أية مقدمات وانطفأت شموع أفراحي وسعادتي، وواجهت الحياة أرملة شابة بملابس الحداد وأنا في السابعة والعشرين من عمري، وحين فقدت زوجي وأصبحت إنسانة وحيدة لم يكن النوم يعرف طريقه إلى عيوني كل ليلة إلا إذا استمعت وأنا في الفراش إلى أحاديث الآخرة وما بعد الموت من أحد الأشرطة الدينية، فكانت هذه الأحاديث التي يراها البعض مقبضة خاصة فيما قبل النوم هي علاجي الوحيد ودوائي، كما أنني قد جعلت ليلي نهاري ونهاري ليلي، فكنت أصحو الليل وأنام طوال النهار حتى لا أرى أحداً من أفراد أسرتي، وفي لحظات جنون أخرى كنت أقرأ باستغراق شديد صفحات الوفيات لكي أجد عزائي فيها، وأعرف أن كل الناس لديهم أعزاء يفقدونهم كما فقدت أنا من كان لي الأب والأخ والزوج الحنون، وخلال ذلك كنت أحاول التصبر بقراءة القرآن وسماع الأشرطة الدينية بالإضافة لقراءتي لأحزان الناس وهمومهم في بريد الجمعة، ثم حاول أقاربي إخراجي من أحزاني فكان أهم ما أشاروا به عليّ هو العمل حيث كنت لا أعمل، وساعدني أقاربي في إيجاد عمل لي بأجر ضئيل للغاية من الصباح حتى الثانية بعد الظهر، وحين خرجت لهذا العمل في البداية كنت أبكي في الشارع وأنا في طريقي إليه من غدر الأيام بي.. وشيئا فشيئا بدأت أندمج مع صديقاتي في العمل.. وبدأت أتشاغل بعض الشيء عن أحزاني وأفكاري السوداء.. وبدأت أستعيد حماسي للحياة وحبي لها وبعد حين وجدت أن العمل حتى الساعة الثانية لا يشبعني ولا يشغل بقية أوقاتي فبحثت عن عمل آخر إلى أن وجدته وأصبحت أغادر بيتي قبل الثانية صباحا إلى عملي الأول - وأغادره في الثامنة إلى عملي الثاني فلا أعود إلى البيت إلا في الثامنة مساء مرهقة ولا أحتاج إلا إلى النوم، وإلى جانب ذلك فقد بدأت في تلقي دروس في اللغة الإنجليزية لتحسين مستواي فيها ولكي أرتقي في عملي، فإذا كنت لا أنكر أنه مازال في أعماقي بعض الحزن فإنه ليس الحزن القاتل الذي كان يفترسني من قبل وأنا بلا عمل وكل أوقاتي خالية.. ولا شيء يشغلني سوى التفكير المتصل فيمن ضاع مني وما آل إليه حالي.

ولقد كتبت رسالتي هذه لكي تستفيد بها السيدة الشابة كاتبة رسالة النظرة العميقة، في محاولة التغلب على الأحزان بالتوجه إلى الله وسؤاله أجر الصابرين، وبالبحث عن عمل إذا كانت لا تعمل لأن في العمل سلوى لها عن حزنها والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

كان من تقاليد البحارة في أعالي البحار أنهم إذا صادفوا حوتاً ضخماً ألقوا في البحر بقارب فارغ ليشغلوه به ويصرفوه عن مهاجمة السفينة التي تقلهم خوفاً من انقلابها بهم وغرقها، ثم يحاولون بعد ذلك صيد الحوت وهو منشغل بمناطحة القارب الفارغ وينجحون في ذلك في أغلب الأحيان.. أو يفوزون بالنجاة من الغرق حين يمل الحوت مناطحة القارب وينصرف عنه وعن السفينة.

والقارب الفارغ الذي ينبغي لنا أن نلقي به دائما لحوت أحزاننا لكي نصرفه عن الفتك بنا هو بعد الإيمان بالله والتسليم بقضائه وقدره، العمل والعمل الشاق الذي يشغل الذهن عن الحزن ويصرفه عن الاستسلام للأفكار والخواطر الحزينة، ثم المشاركة في الاهتمامات العائلية والاجتماعية، وتشجيع مبادرات الأصدقاء والقريبين منا لمحاولة التسرية عنا وشغلنا عن أحزاننا، وليس النفور من هذه المبادرات أو التعامل معها بجفاء كما يفعل للأسف بعض المهمومين وهم في عنفوان همهم بأحزانهم. ذلك أنه ليس من وقود يحفظ للأحزان قوة اشتعالها أقوى من الوحدة. والفراغ والانفراد بالنفس. لهذا فلقد فعلت خيراً يا سيدتي حين واجهت أحزانك بالعمل.. والاندماج في مجتمع الصديقات والتجاوب معهن مما أدى لتشاغلك عن أحزانك واستعادتك لحماسك للحياة من جديد. والحماس للحياة لا يتعارض أبداً مع الوفاء للأعزاء الراحلين لأنه تجاوب طبيعي مع وجودنا فيه.. فشكراً لك على رسالتك ونصيحتك المخلصة لكاتبة رسالة النظرة العميقة.. والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بحر الكراهية!

كتبت إليك منذ ثماني سنوات ولم تجد رسالتي فرصة النشر، والآن أعاود الكتابة مرة أخرى. فأنا سيدة في الخامسة والأربعين من عمري تزوجت منذ 21 عاماً، من إنسان توسمت فيه أن أجد لديه كل ما تمنيته في الرجل. فلقد كانت طفولتي تعيسة للغاية فقد رحلت أمي عن الحياة وأنا طفلة لا يزيد عمري على عام ونصف العام، وتقلبت بي الحياة بين أيدي ثماني زوجات أب، كان لكل منهن أسلوبها معي ووجدت منهن ما جعلني أكره حياتي وأتطلع لمغادرة بيتي إلى بيت زوج يعوضني عما عانيته في حياتي من شقاء، وتزوجت أول من طرق بابي، واصطدمت بعد زواجي منه بشخصيته التي تختلف عن شخصيتي في كل شيء، فهو من النوع العنيف الذي يعالج أموره بالضرب، وكثيراً ما كان ضرباً مبرحاً يترك آثاراً تستمر لعدة شهور على وجهي وجسدي، وفي خلال عامين أنجبت منه طفلين وأنا كارهة، ومن أجلهما احتملت الحياة مع رجل لم أعد أطيق عشرته وأصبح وجوده في البيت كابوساً ثقيلاً وكرهته كل الكره، فلم يكن بيننا ذات يوم حوار إلا وانتهى بالضرب والشتم والسب، ولقد أصبحت أكره ملامح وجهه ولم أعد أنظر إليها منذ 15 عاماً، ولقد اضطررت، وليسامحني الله في ذلك - أن أنفصل عنه وأنام في حجرة أطفالي منذ سنوات بعيدة لكني بالرغم من ذلك لم أكن أرفضه إذا دعاني، وكانت هذه هي أكثر أوقاتي عذابا ومعاناة.

ومضت السنوات بخيرها وشرها فلم أستطع العودة إلى حجرة نومي أبداً، ولقد حاول هو كثيراً إعادتي إليها وفشل، فأسلوبه لم يتغير والحياة معه حرمان من كل شيء، وكلما طلبنا منه شيئاً ضرورياً تكون الإجابة هي الضرب، وكلما ضربني كرهته أكثر حتى أصبح كرهي له بلا حدود، ولم يكن لي خيار في استمرار الحياة معه، فلقد كان من المستحيل أن أعود إلى بيت زوجة الأب مرة أخرى، وإمكاناتي لا تسمح لي بالعيش وحدي وتحمل مسؤولية أبنائي، ولقد كان من رحمة ربي بي أنه كان كثير السفر في عمله، فصبرت على حياتي معه حتى كبر أبنائي والتحقوا بالجامعة منذ عامين، والكارثة الآن هي أن زوجي قد ترك العمل الآن وتفرغ للجلوس في البيت وأنا لم أعد أتحمل وجوده المستمر فيه لكرهي الشديد له، ولا أعرف لماذا لم يطلقني وقد طلبت منه الطلاق مليون مرة.

ونوبات الاكتئاب لم تفارقني منذ زواجي، وقد مرض زوجي أخيراً بمرض معد عن طريق الدم وأكد لي الطبيب ذلك، وزوجي دائم الشجار معي لهجري له، وأنا زوجة لا تستطيع أن تكون زوجة لكرهها الشديد لزوجها.. فماذا أفعل في مشاعر الكراهية هذه وهي لا حيلة لي فيها لأنها حصاد رحلة العمر المرير.

إنني أتمنى أن أعيش مع أولادي وحدي وأن يتركني ذلك الرجل ويبحث لنفسه عن زوجة أخرى، فقد ضاع عمري معه في حياة خالية من كل معنى ومن السعادة ولا أمل لي في الحياة الآن إلا في الانفصال عن زوجي لأنني لا أريد أن أراه أو أسمع صوته وأكره كل شيء فيه منذ 15 عاما كاملة!

وإنني أسألك يا سيدي: أليس من حقي أن أحيا ما بقي لي من عمر بدون هذا الرجل فأتنفس الصعداء وأتخلص من الاكتئاب الذي يخيم على حياتي؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لا حصاد لمثل هذه العشرة السيئة إلا اختزان المرارة وترسبها في الأعماق، وتحولها مع مر السنين إلى كراهية متأصلة لا يجدي معها نصح ولا حديث! إذ ماذا ينتظر العشير الذي لا يتفاهم مع شريكة الحياة إلا بالضرب المبرح الذي يترك آثاراً على الجسد والوجه لعدة شهور، سوى أن تنطوي له زوجته على ما يشبه الحقد المكظوم الذي ينتظر تغير الظروف لكي ينفجر في وجهه معبراً عن نفسه بلا حرج ولا تجمل؟

لقد قلت من قبل إن بعض الزوجات قد تضطرهن ظروف الحياة والحرص على مصلحة الأبناء إلى احتمال عشرة شريك الحياة والصبر عليها إلى أن يشب الأبناء عن الطوق، وتنتهي الحاجة المادية للزوج، فتنفجر الكراهية المختزنة في أعماقهن طوال سنوات الصبر والاحتمال، ويقوم حاجز نفسي منيع بين الزوجة وزوجها تفشل معه كل المحاولات، فيعيش الزوجان تحت سقف واحد وقد تحولا إلى غريبين لا ينطوي أحدهما للآخر إلا على أسوأ المشاعر، أو تحتمي الزوجة ببيوت أبنائها رافضة اقتسام الحياة من جديد مع زوجها، أو تصر الزوجة في بعض المضاعفات الشديدة على الحصول على الطلاق والانفراد بحياتها دون النظر لأي تبعات تترتب على هذا الانفصال.

ولا عجب في ذلك إذ ماذا ينتظر العشير - زوجاً كان أو زوجة - من شريك الحياة إذا هو قهر إرادته بالحاجة ومصلحة الأبناء سنوات طوالاً حين يتحرر الشريك من هذا القيد بنمو الأبناء ويسترد قدرته على الاختيار.

لقد شرع الله سبحانه وتعالى الخلع للمرأة التي تعجز عن احتمال عشرة زوجها لكراهيتها الشديدة له، حتى ولو لم تنكر عليه خلقاً ولا ديناً فرخص لها بأن ترد عليه ما سبق أن أدى إليها من مال وتختلع منه. ولقد روى لنا الأثر تلك القصة المعروفة عن امرأة ثابت بن قيس التي شكت إلى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أنها تكره زوجها كراهية شديدة وإن لم تكن تنكر عليه شيئاً من خلقه أو دينه، فأمرها أن ترد عليه ما أخذته منه وأمره بأن يطلقها، كما روى لنا الأثر أيضاً أن الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - قد رق قلبه لرجل انفصل عن زوجته وهو راغب فيها فذهب إليها الرسول يحدثها في عودتها إليه فسألته على استحياء: هل جاء شافعاً أم أمراً؟ فأجابها بأنه إنما جاءها شافعاً وليس أمراً، فأجابته: إذن فلا أعود! فلم يرغمها الرسول الكريم على ما لا تريده ولم يتهمها في دينها ولا في طاعتها لربها ولرسوله.

لكن المشكلة لا تتمثل في حقك في أن تتنفسي الصعداء بعد سنوات الصبر والاحتمال وأن تعيشي مع أبنائك بغير زوجك، وإنما المشكلة هي كيف يتحقق لك ذلك وأنت بلا مال ولا إمكانات لتوفير المأوى الكريم لك بعد الانفصال، كما أن زوجك ليس قادراً فيما يبدو لي من أحواله على أن يوفر لك ولأبنائك مسكناً مستقلاً ويتزوج هو من ترضى بمشاركته الحياة في مسكن الزوجية، فما العمل إذن! هل نطالبه كما تحلم بذلك بعض الزوجات الكارهات بأن يتلطف الزوج المكروه بالاختفاء من حياة زوجته وأبنائه ويخلي لهم مأواه الوحيد ويبحث لنفسه عن غرفة في أي مكان ليعيش فيها وحيداً عليلاً ما بقى له من عمر، لأن زوجته تكرهه أشد الكراهية ومع استمراره في الإنفاق على ساكني الجنة التي طرد منها بغفلته وقسوته وسوء عشرته لزوجته؟ وهل يقبل زوجك بهذا الحلم الحسير الذي يراودك ويراود مثيلاتك من الزوجات الكارهات؟ لقد أخطأ زوجك في حقك كثيرا وزرع بذور كرهك له في أعماقك على مر السنين، ولكن ألا تستطيعين مادمت غير قادرة على أي حل آخر أن تغالبي نفسك وتحاولي النظر إلى وجهه الذي كففت عن مجرد النظر إليه طوال السنوات الماضية بنظرة جديدة خالية من مرارات الماضي وذكرياته؟ أن المرض المعدي الذي حدثتني عنه يقوم الأطباء بحقن الزوجة ومخالطي المريض بمصل يقيهم خطر العدوى منه. وزوجات كثيرات يخالطن أزواجهن المرضى بهذا المرض بغير خوف من العدوى بعد المصل؟ فهل فكرت في التحصين ضده؟ أو لا تحاولين مادمت عاجزة عن أي بديل آخر تحييد مشاعرك تجاه زوجك بما يخفف عنك بعض عناء الحياة ويعينك على مواصلة أداء رسالتك مع أبنائك بغير أن تعرضيهم للمتاعب؟

إن الحب لا يشترى ولا يباع وإنما هو شعلة ذاتية الاشتعال تتطلب دائماً رعايتها والحرص عليها لكي ينمو لهبها ويصمد لرياح الحياة ولهذا فلست أطالبك - وأنت من تحملين لزوجك كل هذه الكراهية -، بحبه أو الوقوع في غرامه بعد كل ما جرى منه لكني أطالبك فقط بمحاولة تحييد مشاعرك تجاهه.. ومحاولة نسيان مرارات الماضي، رفقاً بك أنت وبحالتك النفسية وجهازك العصبي قبل أي شيء آخر، فهل تستطيعين ذلك لكي تخففي عنك ثقل الأيام؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ظلام الليالي!

أنا سيدة في السادسة والثمانين من عمري.. وقد رحل زوجي المهندس السابق بالقصور الملكية عن الحياة، وكبر الأبناء واختلفت بهم السبل، ومنذ عام 1954، وأنا أقيم بميدان الدقي حين انتقل زوجي من عمله السابق بالقصور الملكية بالإسكندرية إلى وزارة الأشغال بالقاهرة، ثم توفاه الله منذ 38 عاما، وعشت وحدي بعد ذلك أستعين بإحدى المساعدات ومضت الأيام وضعفت معها عزيمتي وازدادت حاجتي إلى من يساعدني في حياتي، وكلما اعتمدت على إحدى المساعدات ازدادت مطالبها، وتلاعبت وتدللت استغلالاً لظروفي، وإن لم أقبل بذلك تركتني، وبالرغم من مرور كل تلك السنين فإني مازلت مشتركة في جريدتي المحببة الأهرام، وأقرأ بابك.. وفكرت في أن أستعين بمفكرتك الحمراء، عسى أن تكون هناك سيدة وحيدة مثلي أشقتها الوحدة وظلام الليالي وتغير الأوضاع، وتبحث عن زمالة في الحياة، وإقامة مستديمة بعيدة الأمد بإذن الله إلى أن يشاء الله لي الرحيل، فأستضيفها وتعاونني بأجر رمزي قدره مائة وخمسون جنيها، وكل مطالبها اليومية سوف تلبي لها بإذن الله، فقط لا أرجو إلا أن تكون لديها قيم إنسانية وحنان نتبادله معاً ونستعين به على أيامنا.. فهل ترى من الممكن أن يتحقق هذا الأمل الكبير؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

قد يكون ما تعتبرينه أنت يا سيدتي أملاً كبيراً لك.. حلماً غالياً على الناحية الأخرى لسيدة وحيدة مثلك وتحتاج إلى رفقة الحياة واقتسام شئونها معك، لهذا فإنني أنشر رسالتك وآمل في أن أتلقى لك عرضاً مناسباً في القريب العاجل بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الصداقة

أنا سيدة تخطيت سن المعاش، وقد توفى زوجي منذ 4 سنوات. وكان رحمه الله يعاملني في حياته كالملكة المتوجة، وبعد رحيله عن الحياة، خلت الدنيا عليّ بالرغم من أني أقيم مع ابني وزوجته وأحفادي، وعانيت كثيراً من الوحدة القاتلة خاصة بعد وفاة صديقة لي كانت قريبة من قلبي وأنا مقيمة بمنطقة المهندسين، ومشتركة في نادي الصيد المصري ولي شقة في الإسكندرية والساحل الشمالي، وحرم وكيل وزارة، فهل أجد لديك زميلة لي في الوحدة ومحتاجة إلى الصداقة فنتعاون معاً على قضاء الوقت واحتمال الوحدة المؤلمة إنني أتمنى أن أجد مثل هذه الصديقة والزميلة لكي تؤنس كل منا وحدة الأخرى وتشد من أزرها وتعينها على احتمال الحياة وحبذا لو كان، تقيم في حي قريب من المهندسين لكي يسهل عليّ الاتصال بها..، وأرجو أن تتفهم ظروفي وتهتم بهذا الأمر وشكراً لك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أتفهمها جيداً يا سيدتي وأدرك عمق احتياجك الإنساني إلى الرفقة الملائمة والصداقة الخالية من الشوائب في هذه المرحلة من العمر.

فالحق أن الإنسان قد يشعر بالوحدة النفسية في بعض الأحيان حتى وهو محاط بالبشر، فيتطلع إلى ما يمكن أن نسميه بصداقة الروح التي يتوافر له فيها العطف الإنساني.. والفهم المتبادل ووحدة الظروف الإنسانية وتقارب المشارب والاهتمامات. ولا شك أن هناك كثيرات يفتقدن مثل ذلك في حياتهن ويتطلعن إلى الاستعانة على وحدتهن أو غربتهن النفسية وسط الأجيال الجديدة المحيطة بهن بمثل هذه الصداقة المنشودة، وأرجو أن أتصل بك في القريب العاجل لأعرض عليك ما أتلقاه لك من استجابات مناسبة بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرؤية الجديدة!

قرأت لكم في ردكم على إحدى رسائل البريد وفي مجمل نصيحة لفتاة جامعية تزوجت سراً من أستاذها وأصبحت حاملاً منه. قرأت لكم أن الرأي الشرعي يبيح الإجهاض في الأشهر الأولى من الحمل (بعض الفقهاء)، ولتسمح لي أن أعقب على هذا الرأي بما أثبته أخيراً العلم الحديث ويقطع الشك باليقين في هذا الأمر، ذلك أنه منذ أن يتم تلقيح البويضة (الحية) بحيوان منوي (حي) تصبح خلية ملحقة (حية) وتبدأ في الانقسام مكونة (جنيناً حياً) وهذا الجنين الحي يعلق بجدار رحم الأم ويمكن الكشف عليه بجهاز الموجات الصوتية ورؤيته وبه (حياة) ونبض في الأسابيع الأولى من الحمل.

أما رأي الفقهاء الذي تفضلتم بالإشارة إليه، فقد اعتمد على أن حركة الجنين داخل بطن الأم والتي تبدأ الأم في الشعور بها، تكون غالباً بعد الشهر الثالث، ومن هنا كان الاعتقاد بأن الحياة تدب في الجنين بعد الشهر الثالث.

وعلى هذا فإن الرؤية العلمية الحديثة والتي تؤكد وجود حياة بالجنين منذ حدوث التلقيح تلغي تماماً مشروعية الإجهاض إلا لأسباب طبية مؤكدة تتعلق بسلامة الأم والمولود.

برجاء التفضل بتوضيح هذه الحقيقة لقراء بريد الجمعة.

من رسالة للدكتورة / نور الهدى عضو هيئة التدريس بطب الإسكندرية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذا التعليق المفيد أقول:

إنني سبق أن نشرت تعليقاً علمياً مؤيدا لرأيها، وذكرت في تعقيبي عليه أن الفتوى المشار إليها قد صدرت عن الأزهر الشريف في عهد إمامه الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق يرحمه الله وتضمنها كتاب بيان للناس الصادر عن الأزهر في عام 1988، ولعل متغيرات العلم الحديثة تتطلب إعادة بحث هذا الأمر من الناحية الشرعية وإصدار فتوى جديدة بشأنه.. وشكرا لك

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هدية من السماء!

أنا الطبيب المصري المقيم في بريطانيا الذي نشرت رسالتي في 23 يوليو الماضي بعنوان: حوادث الأيام، وكنت قد رويت فيها عن فقدي زوجتي بعد رحلة زواج سعيدة في الغربة، وعن حيرتي مع طفلتي الصغيرة التي تسألني عن أمها كثيراً وتفتقد وجودها بشدة في حياتها، وأبلغتك بأنني سأكون في مصر خلال شهر أغسطس وسأقضي شهراً مع أسرتي وتمنيت لو كنت تستطيع مساعدتي في إيجاد أم بديلة لطفلتي الصغيرة التي طالما أبكتني بحنينها المحروم إلى أمها، ولقد نشرت الرسالة وتفضلت بإرسال الاستجابات العديدة التي تلقيتها من أجلي، وأنا الآن أكتب إليك بعد انقضاء إجازتي في مصر وعودتي إلى بريطانيا لأروي لك ولبريد الجمعة والعاملين فيه، ولكل من غمرني، بالاتصالات والرسائل والفاكسات خلال وجودي في مصر واجب الشكر لكم جميعا، راجياً لكل من اتصلت بي أن يوفقها الله سبحانه وتعالى إلى ما تتمناه لنفسها من حياة سعيدة واستقرار، أما أنا فلقد وفقني الله سبحانه وتعالى من خلال بريد الجمعة إلى أم بديلة لأطفالي هي في الحقيقة هدية من السماء لكي تعوضنا بها عما قاسيناه من قبل من حوادث الأيام، وهي تشاركني الآن هذا الشكر لبريد الجمعة وترجو له معي التوفيق في خدمة بقية القراء، كما وفقه الله سبحانه وتعالى في خدمتنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

بل الشكر لك أنت لاهتمامك بإبلاغي بأن الله سبحانه وتعالى قد وفقك إلى الارتباط بإنسانة فاضلة تعوض أطفالك عن حرمانهم من أمهم الراحلة، وتمسح عنك آلام الفترة الأخيرة من حياتك، وترفع أستار الحزن عن نوافذ بيتك.. فتتسلل منها أشعة الشمس وتغمره بأضواء الابتهاج بالحياة والتفاؤل بالغد الآتي.

فلقد أسعدتني برسالتك القصيرة هذه وطمأنتني إلى أن طفلتك الصغيرة قد استعادت ابتسامتها وإحساسها المفقود بالأمان والاطمئنان إلى جوارك وإلى جوار هدية السماء لها ولأسرتك كلها.. فشكراً لك ولشريكة حياتك الجديدة وأرجو لكما ولأطفالكما كل خير وسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحياة الهادئة!

أنا سيدة في الخامسة والستين من عمري توفى عني زوجي منذ سنوات، وترك لي معاشاً كبيراً يكفيني والحمد لله.. وليس لي أبناء وقد منّ الله عليّ بالحج ثلاث مرات، وبالعمرة مرة واحدة، وأعيش حياة هادئة، لا يشغلني فيها شاغل سوى الصلاة في مواعيدها.. وقراءة الصحف ومشاهدة التليفزيون والتسامر مع بعض الأهل والجارات الذين يزورونني من حين لآخر، وأنا راضية والحمد لله عن حياتي.. وعما أكرمني به ربي خلال رحلة العمر، وقد عاشرت زوجي بالمعروف طوال سنوات الرحلة إلى أن سبقني إلى لقاء ربه، وأدعو له في كل صلاة.. وأنا أملك قطعة أرض مساحتها 6 قراريط من أجود الأراضي الزراعية في قريتي بالشرقية، وأشعر بأنني في نهاية العمر، وأريد أن أتبرع بهذه القطعة لمعهد الأورام، القومي لكي يتصرف فيها ويخصص ثمنها لصالح مرضى الأورام، شفاهم الله جميعا وخفف عنهم برحمته آلامهم، ولكي تكون هذه الأرض صدقة جارية لي بعد وفاتي، ولقد كتبت إليك لكي تقوم بعرض هذا الأمر على المسؤولين بالمعهد، وكل ما أرجوه هو أن يحضر إلى في قريتي مندوب من المعهد لاتخاذ الإجراءات القانونية للتبرع بهذه الأرض، لأنني مسنة ومريضة ولا أستطيع السفر للقاهرة ولا أضمن عمري فهل تساعدني في ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

حباً وكرامة يا سيدتي أفعل كل ما أستطيع لتحقيق رغبتك النبيلة بإذن الله. وسوف أتصل بالأستاذ الدكتور شريف عمر عميد معهد الأورام وأعرض عليه تبرعك الكريم، وأتعاون معه على إتمام الإجراءات المطلوبة بغير إرهاقك بمشقة السفر للقاهرة إن شاء الله وشكراً لك على إسهامك النبيل في التخفيف من آلام مرضى الأورام، شفاهم الله وشفى الجميع من أمراضهم، وبشرى لك بأجرك الموفور بإذن الله من رب العالمين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الصبر.. والأمل!

أكتب لك عن صديقتين لي ولأسرتي التي تقيم بالإسكندرية، فلقد ولدتا لأب وأم عانت في أخريات عمرها من فقد البصر وأنفق عليها زوجها الكثير لعلاجها دون جدوى إلى أن رحلت عن الحياة، وعاشت الفتاتان مع الأب والأخ الوحيد، وبعد أن تخرجت الكبرى في كلية الآداب، وخطبت لشاب من أسرة طيبة أصيبت الكبرى بمرض أمها وفقدت الإبصار نهائياً، فانصرف عنها خطيبها، وعقب إنهاء الأخت الصغرى من امتحان الفصل الأول من عامها الجامعي الأخير واجهت الظروف المؤلمة نفسها وفقدت هي الأخرى إبصارها وواجهت الفتاتان حياتهما الجديدة بصبر وأمل، وبعد قليل غادرهما شقيقهما للعمل في القاهرة، ثم لم يلبث الأب الحزين أن لبى نداء ربه فخلت الشقة على الفتاتين، وأصبح من يقضي حوائجهما هو البواب النوبي وبناته مقابل راتب شهري من شقيقهما المقيم بالقاهرة، وللأسف فقد ابتعد عنهما الأهل بعد أصبحتا عبئاً عليهم لا طاقة لهم بتحمله وتوقفوا حتى عن الاتصال بهما تليفونيا. والمشكلة هي أن هاتين الفتاتين قد فقدتا البصر وهما في سن الشباب ولم تتعلما كيف تواجهان الحياة بغير نور البصر، وهما في بيتهما تقومان بكل الأعمال المنزلية من نظافة وغسيل وطهو، لكنهما لا تعرفان مثلا القراءة بطريقة برايل ولا تستطيعان الخروج وحدهما إلى الشارع ولا تستطيعان إحضار أي شخص للبيت لتعليمهما لأنهما تعيشان بمفردهما، وشقيقهما الوحيد يرجع إليهما كل شهر مرة من القاهرة لقضاء مصالحهما، وكل ما نملكه لهما أنا ووالدتي هو السؤال عنهما تليفونياً وزيارتهما من حين إلى آخر، وقد نستطيع في بعض الأحيان أن نحقق لهما أمنيتهما الغالية **وهي الخروج من البيت لبعض الوقت وقضاء فترة قصيرة في أي مكان عام ولا نستطيع للأسف أن نقدم لهما أكثر من ذلك.**

لقد حكمت الأقدار على هاتين الفتاتين بأن تعيشا حياتهما بين أربعة جدران وهما في عز شبابهما والحياة عريضة أمامهما أو كانت كذلك، وهما راضيتان بأقدارهما، ولا تستشف في حديثهما أي أثر للشكوى أو التذمر، وتعيشان في شقة بأرقى أحياء الإسكندرية وميسورتان مادياً ولا تحتاجان إلى أى عون مادي وإنما إلى العون الإنساني وإلى من يساعدهما في حياتهما ويسأل عنهما أو يكون صاحب أو صاحبة تجربة مماثلة يساعدهما بخبرته على أمرهما.. كما أنني أتمنى من الله.. ولا شيء يعلو على قدرته أن تجد كل منهما زوجا صالحا تقضي معه بقية حياتها فهل هذا كثير عليهما ياسيدي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ليس كثيراً عليهما.. وقد يكون أقل القليل الذي تستحقانه جزاء وفاقاً لرضائهما بأقدارهما وتقبلهما لهابصبر وأمل.

إن في الإسكندرية كما أعلم هيئات وجمعيات تهتم برعاية من حرمتهم أقدارهم من نعمة البصر، ولا شك أن أعضاءها ومسؤوليها يستطيعون تقديم هذا العون الإنساني الذي تحتاج إليه هاتان الفتاتان الراضيتان بأقدارهما وإعانتهما على حياتهما الجديدة وتدريبهما على تعويض فقدهما البصر، بالاعتماد الأكبر على حاستي السمع واللمس واشتراكهما في أنشطة هذه الجمعيات ورحلاتها ولقاءاتها وتحقيق أمنيتهما الغالية في الخروج إلى الطريق العام من حين لآخر وشغل أوقات فراغهما بما يهون عليهما الحياة ويزيدهما أملا فيها وصبرا على عنائها.

وإني لأترقب أن تتصل بي إحدى هذه الجمعيات والهيئات لتنظيم تقديم هذا العون الإنساني لهما.

أما أمنية الزواج وهي حق مشروع لهما فإني أشاركك الأمل فيها ولعل اتصالهما بإحدى هذه الجمعيات يكون بداية جديدة تيسر لهما تحقيق هذا الأمر في وقت قريب بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المسؤولية!

أنا أم غير عاملة ولدي أبناء موفقون بفضل الله في دراستهم، وزوجي مهندس كهرباء من أحسن المهندسين وأكفئهم في عمله، وقد عمل سنوات طوالاً في الخليج، ونفذ مشروعات كبرى هناك ورجع مع من رجعوا إلى بلدهم بعد حرب الكويت وحمدنا الله على كل شيء ومضت حياتنا هادئة وبعد عودته بفترة قصيرة، توفي زوج أخته بعد معاناة طويلة مع المرض وترك أبناء في مختلف المراحل الدراسية، ولم يترك وراءه سوى الستر، فاحتضن زوجي أخته وأبناءها وكأن الله قد أعاده من عمله بالخليج في هذا الوقت بالذات ليكون أباً ثانياً لهؤلاء الأبناء الذين لا عائل لهم سواه.. وبعد سنوات أخرى مرض شقيقه بمرض عضال فوقف زوجي إلى جواره وراح يصطحبه إلى علاجه المنهك في مواعيده، ويرجع منه خائر القوى إلى أن تدهورت حالة الشقيق ولقى وجه ربه، وخلف وراءه عددا آخر من الأبناء في مراحل التعليم، فاحتضنهم زوجي وأصبح بذلك مسؤولاً عن ثلاث أسر لديها 11 ابنا وابنة في أعمار مختلفة، وأباً لكل الأبناء ومسؤولاً عن إعالتهم واحتياجاتهم وتلبية رغباتهم، ولم نضق بهذه المسؤولية الكبيرة، وإنما رحنا أنا وزوجي نكافح لإسعاد هؤلاء الأبناء وإدخال السرور إلى قلوبهم، فنلبي احتياجاتهم ونراقب دراستهم ونسعد بنجاحهم وبتقدمهم في مراحل العمر.. وكلما ضاقت بنا الأحوال سارعت ببيع بعض ما أمتلكه من مصوغات ذهبية وأعنت بثمنه زوجي على تحمل مسؤوليته، لكيلا يشعر الأبناء بأي تقصير من جانبه، وكلي ثقة في أن الله سبحانه وتعالى سوف يحتسب له عطاءه هذا في ميزان حسناته ويحفظ به أبناءنا ويجنبهم السوء.

وفي غمرة هذا الكفاح أصبت بمرض أعجزني بعض الشيء عن الحركة وتطلب تكاليف كثيرة للعلاج، فاعتبرته ابتلاء من الله أدعوه مخلصة أن يكون ابتلاء حسناً، وأن يتم على نعمته بالشفاء الكامل. ليس من أجلي أو من أجل أبنائي فقط، وإنما أيضاً من أجل زوجي الصابر المكافح الذي نفذت معظم مدخراته عن سنوات الغربة، واضطر أخيراً للبحث عن عمل بمؤهله وخبرته التي تبلغ 25 عاماً، فلم يوفق حتى الآن في الحصول عليه.. إننا نقيم بمدينة 6 أكتوبر وهي عامرة بالمصانع والشركات.. أفلا تتسع إحداها لزوجي لكي يستطيع مواصلة تحمل مسؤولياته عن أبنائه، الأحد عشر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لابد من أن هناك مصنعاً أو شركة تحتاج إلى خبرة رجل أمين كزوجك المكافح الذي غرس الله سبحانه وتعالى الرحمة في قلبه فاتسع لأبناء شقيقته وشقيقه إلى جوار أبنائه، فهو واحد من هؤلاء الذين حق على الله والبشر عونهم إن لم يكن

لخبرته وكفاءته وحدهما، فمن أجل من يعتمدون عليه في حياتهم وينهض هو بمسؤوليته عنهم راضياً مستبشراً!

وإني لأرجو أن أتلقى لـه عرضاً ملائماً وأن تسعدني الظروف بالاتصال بكم وإبلاغكم إياه في وقت قريب بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أرض الأحزان

إيماناً بدور وقيمة عبد الوهاب مطاوع - في الذكرى الثانية لرحيله أخذت " الدار المصرية اللبنانية " على عاتقها عبء إتاحة هذا التراث للقراء العرب، فأخرجت هذه السلسلة الجديدة التي لم تنشر من قبل، وعملاً بسياسة الدار الثابتة في إتاحة الأعمال التي أنجزت لكثير من الكتاب المصريين والعرب ولم تنشر من قبل ووضعها بين يدى قرائها في كل أنحاء الوطن العربي.

وإيماناً من الدار - أيضاً - بقيمة تراث عبد الوهاب مطاوع، وفي القلب منه هذه الرسائل، **التي تشكل الخلفية الاجتماعية للتطور الاقتصادي والسياسي الذي مرت به مصر والوطن العربي في العقدين الآخرين،** تلك الخلفية الاجتماعية التي تشبه المرأة تنعكس عليها تلك التطورات **سلباً وإيجاباً تأثيراً وتأثراً.**

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

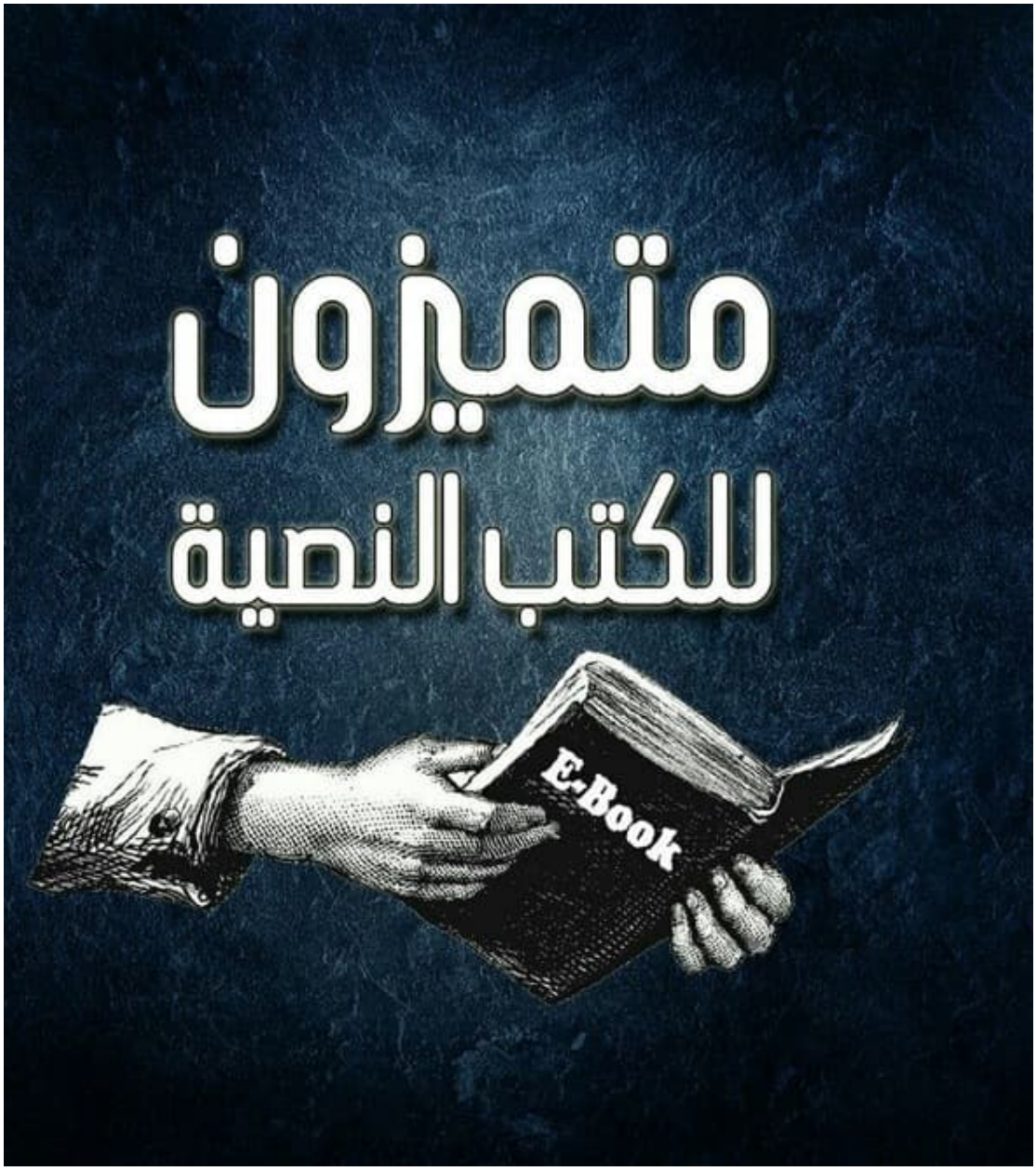
متميزون
للكتب النصية
E-Book

الفهرس:

كلمة الناشر

حب التمتع!

المكافأة!

الحديقة اليانعة!

أرض الأحزان!

نقطة التحول!

سنوات العمر!

العيب الوحيد!

النقطة الأخيرة!

النار المشتعلة!

الستار المزيف!

ميدان الحياة!

لماذا أنام؟

موقف الاختيار!

نداء البراءة!

الفكرة الملحة!

حق النقد!

الوصمة!

القذائف النارية!
جفاف النبع!
الرداء الأبيض!
قتل الفرحة!
الوصية!
الهمس المسموم!
غرباء في الليل!
روح المغامرة!
القيد الثقيل!
الثمن الفادح!
الشاب الخجول!
القارب الفارغ!
بحر الكراهية!
ظلام الليالي!
الصداقة
الرؤية الجديدة!
هدية من السماء!
الحياة الهادئة!
الصبر.. والأمل!
المسؤولية!

أرض الأحزان

الفهرس: